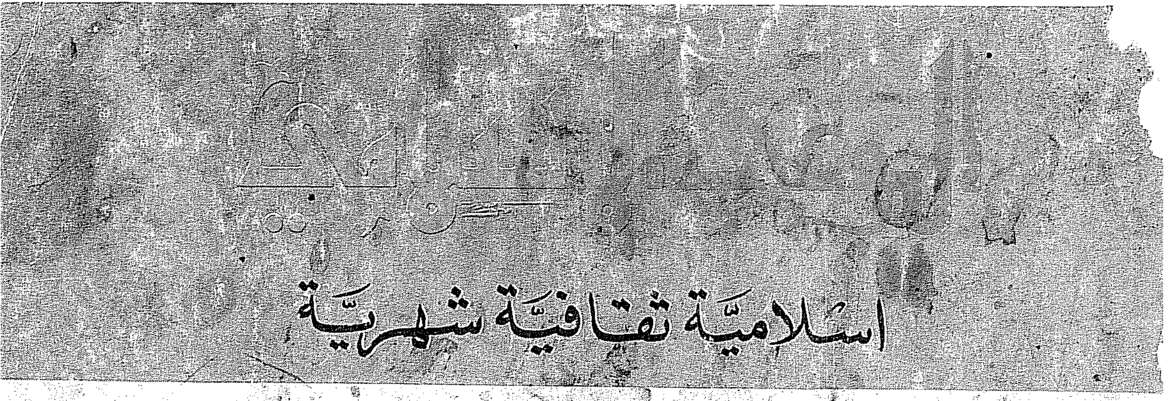
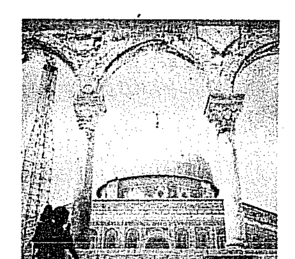


نة الرابعة ـ العدد الثالث والاربعون ـ غرة رجب ١٣٨٨ هـ ـ ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ م

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



منظر فريد للصخرة المشرفة تتراءى من خلال عقد من العقود الاثرية الشاهقة . وهذا الطفل يترقب عودة المسلمين لانقاذ مقدساته .

(تصوير : محمد باقر)

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة
العدد الثالث والاربعون

غرة رجب ١٣٨٨ هـ
٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

عاد صاحبى الذى حدثتك عنه وعن اعجابه بما فى الغرب من حرية فى الراى ، وتقبل للمعارضة ، وحدثته عما فى القرآن الكريم ، وفى حياة الرسول ، من اعتزاز بهذا المبدا ، وحرص على تطبيقه ، عاد يقول لى : لقد فكرت طويلا — بعد ان انصرفت من مجلسك — فيما ذكرته من القرآن ، ومن وقائع حدثت مع الرسول ، وتجلى فيها حقا اعتزاز الاســلام بحرية الراى بصورة تفوق ما رايته فى الغرب ، وخطر لى ان اسالك أولا عن السر فى احتفــال القرآن بالشورى ، وحرصه على حرية الراى ، وفتحه المجال امام الآراء المعارضة حتى لرسول الله ؟

قلت له : يا اخى ان الاسلام دين العقل ، واساسه الاقتناع العقلى ، ولا يمكن ان يقوم دين على العقل فى الوقت الذى يمتهنه فيه ، ويكبله ، أو يقيده ويصادره .

لقد — رفض الاسلام — بنص القرآن — ان يقوم الايمان بالله على اساس من القسر والاكراه ، لأن فى الاكراه اهدارا لحرية الانسان ، وامتهانا لعقله كما انه يحمل معه دليل ادانة المكره والمكره عليه ، ولعلك قرات أو سمعت كثيرا قول الله تبارك وتعالى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وقوله تعالى لرسوله بهذا الاسلوب القوى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ وفى سعة هذه الحرية التى تدخل بها على الاســلام ، تظل تعيش بها وفى نعمتها ..

ثم ان العقيدة الاسلامية التى ترفع الانسان الى خالقه ، وتربطــه هو ومصيره بيده وحده تخلص المؤمن من الخوف ، وتنقى روحه من الخضوع لغير الله ، وتجعل الدنيا أمامه فسيحة ، لا يحدها الا حد وضعه الله ، فى حدود مصلحة الانسان ، وبذلك يشعر بالانطلاق والتعالى على كل القيود المصطنعة .

وايضا فان الاسلام لا يرضى من أتبــاعه الا أن يهبوا أنفسهم له ، وان يحبوا الله ورسوله أكثر مما يحبون أنفسهم وأهليهم وأموالهم ..

ودين يطلب من أتباعه ذلك ، ولا يرضى الا به ، لا يمكن ان يقوم الا على الحرية ، ولا يترعرع الا فى ظلالها .. لأن الاكراه لا ينبت حبــا ، بل ينبت

العكس ، والكبت والضغط لا يولد اقتناعا ، ولكن يولد بغضا وانفجارا .
ومن طبيعة الانسان أن ينفر من الشيء الذى تكرهه عليه ، حتى ولو كان حقا ، وفى مصلحته ، والله خلق الخلق ، وهو يعلم من خلق .

ثم ان الاسلام كذلك دين الوضوح ، ودين الحق ، دين الفطرة المستقيمة ، والمصلحة السليمة ، والحجة القويمة . ودين هذا شأنه لا يخشى العقل ، ولا يخاف الحرية ، بل يدعو الى تحرير العقل والاحتكام اليه ، ويعطى الحرية ويكره من يرفضها أو يعتدى عليها ، ولم يشرع الله القتال الا من أجل الدفاع عنها ، وتوفيرها للناس ، وهو يعاقب الذين يرضون بالذل ، ويعيشون تحت ضغط الكبت والاضطهاد. اقرأ ان شئت «ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم » حتى هؤلاء الذين لا يستطيعون حيلة التخلص من الاضطهاد والكبت قال عنهم : « عسى الله أن يعفو عنهم » .

وبلغ من اعزاز الاسلام للحرية كذلك أن استنفر الاقوياء لحماية المستذلين المضطهدين ، وتخليصهم مما يعانونه من ضغط ومن فقدان الحرية فقال : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » .

لهذا كله نرى أن من طبيعة الاسلام الحرص على الحرية فى منبته ومنشئه ، وفى نموه وازدهاره ، فاذا رأيت مسلما يغض من شأن العقل ، أو يقلل من شأن الحرية ، فاعلم أنه من غير منبع الاسلام يشرب ، وعلى غير طريقه ينهج .

واذا عرفت بعد ذلك أو قبل ذلك أن الاسلام أعطى الانسان كل هذا ، دون ثورة ، أو تجمع ، أو تذمر ، وأنه أعطاه الفرد المسلم والجماعة المسلمة ، وأنه لم يعط مسلما أى مسلم الحق فى تقييد حرية الآخرين حسب هواه أو مصلحته بعد أن قال لرسوله : « فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر »

اقول اذا عرفت هذا ادركت قيمة الهبة التى وهبها الاسلام الانسان ، وقيمه تكريمه له ، واعتداده به .

قال لى : لقد ذكرتنى بمقال قراته اليوم يحلل فيه كاتبه الخلاف الذى وقع بين روسيا وتشكوسلوفاكيا ، أو بين الشيوعيين الحاكمين فى الدولتين .. وامسك الصحيفة واخذ يقرا : (يستحيل أن يخطر على بال عاقل أن الماركسية نقيض أو عدو للحريات العامة ، فالمذهب الذى ينهض على تحرير الانسان من جميع القيود والعوائق المادية والموروثة ، كى يمضى قدما على دروب التقدم الجماعى ، لا يمكن أن يختصم مع الحرية أقصى ما تبلغه الحرية . لكن المسألة مسألة توقيت : متى ينبغى أن تنطلق الحريات من كل عقال ، ومن كل مراقبة فى بلد اشتراكى ماركسى ؟ هنا موطن الخلاف .. الحزب الشيوعى السوفياتى ومن معه يعتقد — فيما يلوح لنا — أن أوان اطلاق الحريات لم يحن بعد ، فالثورة الماركسية لما تنتصر فى كل العالم وهى ما انفكت فى صراع الحياة والموت مع الرجعية الراسمالية .. الخ) .

قلت له : وماذا ترى فى هذا ؟

قال : اننى وقفت عند مسألة التوقيت هذه ، واعتقادهم انه لا يصح اطلاق الحرية للانسان الا بعد أن تنتصر الماركسية فى كل العالم !! وأنه مادام هناك اعداء لها فلا يصح اعطاء الانسان حريته ، لأن معنى هذا — لو صح — انه لا حرية للانسان ، أو أن الانسان الماركسى سيظل بلا حرية حتى تعم الماركسية العالم !! فمتى يتم ذلك ؟ ومتى تصبح الماركسية ولا اعداء لها فى كل العالم ؟ متى ؟ اليس هذا حلما بعيد الوقوع ؟ وكيف تعلق حرية الانسان على شىء كهذا مثل الحلم أو ابعد منه ؟ ألا يشبه هذا تعليق الشىء على مستحيل ؟ والى متى يصبر الانسان ويعيش بلا حرية ؟

قلت له : لعلك لاحظت أن الاسلام أرسى دعائم الحرية منذ نشأ فى مكة ، وترعرع فى المدينة ، بين أعداء يعيشون معه ويحيطون به من كل جانب ، ويكيدون له ، ويدبرون المؤامرات ، ويثيرون الشكوك للقضاء عليه ، ومع كل هذه الظروف الصعبة التى احاطت به فى نشأته ، لم يقيد الحرية بل اطلقها كما عرفت ، ولم يخش على أتباعه المؤامرات والدسائس ، وبذر بذور الفتن

للتشكيك فيه : لأنه ــ كما قلت ــ دين الفطرة ، دين الوضوح والحق ، وكل واحد من أتباعه آمن به عن اقتناع ، فكان لذلك محصنا تحصينا داخليا لا تزعزعه الاعاصير بل انه ليجود بنفسه وماله فى سبيل الدفاع عنه .

قال : هذا هو الشيء الطبيعى الذى تمليه الحقائق ، ويتفق مع منطق العقول ، ومنطق المصلحة ، فليس من المعقول مطلقا أن ياتى الاسلام مثــلا بمبدأ كالحرية ، ثم يعلقه ، ويحرم أتباعه من نعمة التمتع به حتى يعم الاســلام الكرة الارضية ، ويصبح جميع من فيها يدينون بالاسلام !!

قلت له : ان الاسلام وهو صنعة الله ، ومن صنعه لا يمكن أن ينــاقض الطبائع ، أو يجافى الحقائق ، فيقوم مبدأ من مبادئه كالحرية مثلا على شرط اتحاد البشر جميعا فى اعتناق الاسلام لأن هذا معناه الغاء هذا المبدأ ، وأمامنا كتاب الله ينطق بالحق ، ويقرر الواقع حين يقول : ((ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم)) . ولا بد أن تعلم وتوقن أن الفرق بين نظام يضعه الله ، ونظام يضعه البشر ، هو الفرق بين الله وبين البشر ، بين الله فى كماله ، وبين البشر فى نقصهم . ولعل من وجوه النقص البارزة فى البشر أن يعرضوا عن الكمال الذى يصدر عن الله ، ويتهافتوا على النقص الذى يقدمه لهم أمثالهم من البشر !!

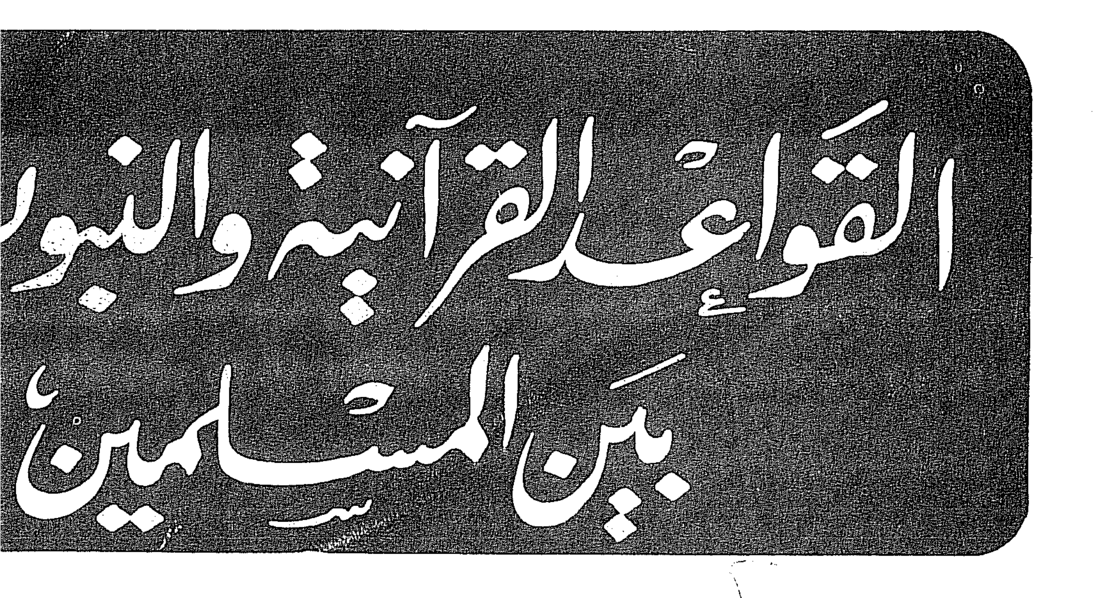
وفى سبيل دفع الناس نحو الكمال يقول لهم : ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) ويقول ((وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعــوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)) .

قال صاحبى : آمنت بالله .. ولقد شغلنا حديث الحرية وما يقال عن توقيتها عن أن تحدثنى عما صارت عليه حرية الرأى أو حرية المعارضة بعــد رسول الله ..

قلت له : نعم .. وقد طال بنا حديث اليوم فالى مجلس آخر أحدثك فيه عما تريد .

والله المستعان .

مدير ادارة الدعوة والارشاد



شبهات والرد عليها

هناك نقاط يثيرها بعض سخفاء المبشرين وسفائهم فى صدد مبادىء الجهاد الاسلامى وحدوده .

(١) منها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان كان يعلن فى مكة أنه ليس الا بشيرا ونذيرا ، وأنه ليس جبارا على الناس ولا مسيطرا ، انقلب فى المدينة الى محارب يسفك الدماء لاجبار الناس على الاسلام ، وهـــذا كذب من كل جهة ، فمبدأ الانتصـــار من البغى أى مقـــابلة العـــدوان بالمثل مبدأ قرره القرآن المكى ، حيث جاء فى سورة الشورى هذه الآيات :

(والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعـــد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل . انما الســـبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عـــذاب أليم(١)) ومبدأ عدم اجبار الناس على الاسلام ظل هو المبدأ المحـكم فى العهد المدنى وبعده الى ما شـــاء الله ، فقد قرر القرآن المدنى :

(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد

---

(١) بعض الروايات تذكر أن هذه الآيات مدنية ، وليس هنـــاك أثر وثيق فى ذلك ، والآيات منسجمة فى سياقها السابق واللاحق انسجاما تاما وأسلوبها من نوع الاسلوب المكى ، ولذلك فنحن نتوقف فى الرواية ، وقد فعل غير واحد من المفسرين ذلك .



الاستاذ ـــ محمد عزة دروزه

من الغى) .. البقره (٢٥٦) ، وآيات الجهاد صريحة كل الصراحة انه كان للدفاع والمقــابلة بالمثل وردا على مواقف العــدوان المتنوعة التى كان يقفها الكافرون على ما ذكرناه قبل ، وأحداث السيرة النبوية الوثيقة التى تكاد تكون يقينية ان كل سرية سيرها النبى صلى الله عليه وسلم وكل غزوة قادها انمــا كانت على اناس اقترفوا عملا أو أكثر من أعمال العداء والعدوان ، بل ان القرآن المدنى لم يكتف بالامر بعــدم الاكراه فى الدين فأمر بالبر والاقســاط لمن يكف عن المســلمين اذاه ويسالم ولا يظاهر عليهم كما جاء فى آية سورة الممتحنة هذه **(لا ينهــاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقســطوا اليهم ان الله يحب المقســطين)** . وفى سورة النساء آية (٩) فيها نفس هذا المعنى وهى **(الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صــدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليــكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ..)** .

٢) ومنها زعمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يغرى أتبــاعه بالغنائم حتى انها كانت هدفا رئيسيا من اهداف القتال ، وهذا كذلك كذب صارخ ، وفى سورة النساء آية(٩٤) مهمة جدا فى بابها تحمل التــكذيب القاطع وهى **(يا أيهــا الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا**

تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) وقد نزلت هذه الآية في مناسبة رواها البخاري ومسلم والترمذي وابو داود عن ابن عباس قال : **(مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له ، فسلم عليهم ، فقالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم ، فقاموا فقتلوه واخذوا غنمه ، فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فنزلت الآية)** وفي رواية يرويها مسلم **(ان النبي صلى الله عليه وسلم غضب وقال لقائد السرية من لك بلا اله الا الله يوم القيامة ، فقال يا رسول الله ، انما قالها مخافة السلاح ، فقال له أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها ام لا ، من لك بلا اله الا الله يوم القيامة ، فما زال يقولها حتى ود انه لم يكن أسلم الا يومئذ)** . وجل آيات الجهاد جعلت عزة الاسلام والمسلمين والدفاع عنهم وارغام اعدائهم الهدف الجوهري ، ونبهت على توطين النفس على التضحية بالمال والنفس والصبر على ما يؤدي اليه الجهاد من خطر وضرر على الانفس والاموال . وجعلت جزاء الجهاد ثواب الله ورضوانه في الآخرة على ما يبدو للمتمعن فيها . ثم في الاحاديث النبوية التي أوردناها قبل . وما جاء في بعض الآيات من تبشير بالغنائم واحلالها هو متسق مع طبائع الامور والظروف والاحداث وحسب . بحيث يسوغ القطع بأن ذلك ثانوي ولم يكن في اي حال هدفا من أهداف الجهاد .

وهناك مسألة يختلف عليها علماء المسلمين . وفيها شيء مما يتشكى عليه المبشرون والمستشرقون . فقد اول بعض المؤولين كلمة الفتنة في آية الانفال (٣٩) هذه **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير (٢))** بمعنى الشرك وقالوا ان القرآن يأمر بقتال المشركين الى ان يسلموا ولا يبقى شرك ، وان موقف القرآن من مشركي العرب هو قتالهم الى ان يسلموا . وهو غير موقفه من اهل الكتاب الذي اجاز وقف قتالهم اذا أعطوا الجزية واستندوا في قولهم الى آية سورة التوبة « **فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)** . ونقول في تأويل كلمة (الفتنة) بالشرك ان هذه الكلمة واشتقاقاتها وردت في القرآن كثيرا في معان عديدة ليس الشرك منها . فقد وردت بمعنى الاختبار والابتلاء في آيات عديدة منها آية سورة طه «١٣١» هذه **(لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه)** ووردت بمعنى رد المسلمين عن دينهم في آيات عديدة منها آية سورة البروج «١٠» هذه **(ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)** ولقد روى البخاري عن نافع عن ابن عمر قال : (كان الاسلام قليلا فكان الرجل يفتن عن دينه أما قتلوه واما عذبوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة) ويصح أن تؤول آية الأنفال والحالة هذه

(٢) وفي سورة البقرة آية مماثلة لهذه الآية بفرق يسير وهي الآية ١٩٣ .

بمعنى : **قاتلوهم حتى ينتهوا من موقفهم العدوانى وتصبح حرية التدين بدين الله مضمونة ولا يفتن احد عنه** ، وهذا يكون بالاسلام او بالخضوع والجزية أو بالصلح على ما ذكرناه قبل وليس بالاسلام وحده ، وآية الانفال نزلت عقب وقعة بدر ، ومن الثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم صالح قريشا الذين عنتهم الآية فى الدرجة الاولى بعد بدر بنحو خمس سنين وبقى مشركو قريش على شركهم . حيث يدعم ما قلناه من أن الانتهاء من الموقف العدوانى الحربى لا يكون بالاسلام وحده — أما من ناحية قتال المشركين حتى يسلموا وعدم قبول غير الاسلام من مشركى العرب فهناك دلائل عديدة تسوغ عدم التسليم به ، من ذلك آية سورة البقرة (١٩) التى تأمر المسلمين بقتال الذين يقاتلونهم وعدم تجاوز ذلك ، وآية النساء (٩٠) وآية الممتحنة (٨) التى أوردناها آنفا . وآيتا «٤ ، ٧» من سورة التوبة هذه (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) و (**الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين**) وفى الحديث الذى أوردناه قبل والذى يأمر بالكف عن العدو المشرك اذا ابى الاسلام . وقبل بالجزية يساق كدليل نبوى بالاضافة الى صلح الحديبيه اليقينى ، ولقد قال اصحاب القول ان آية التوبة «٥» نزلت مؤخرا فنسخت ما قبلها من قرآن وسنة ، غير أن المتمعن فى سلسلة آيات التوبة ١ — ١٥ يظهر له أن هذه السلسلة فى حق الناكثين لعهودهم ومن جملتها الآية المذكورة التى كانت تعنيهم بدليل أنها استثنت المستقيمين على العهد وأمرت بالاستقامة لهم والوفاء بعهدهم فى الآيتين (٤ و ٧) منها والآية «١٢» من السلسلة تجعل قول النسخ غير سليم ايضا لانها تأمر بقتالهم اذا نكثوا .

ويساق حديث نبوى رواه الخمسة جاء فيه (امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله) . وأخذ الحديث على ظاهره واطلاقه يتناقض مع الحديث الذى فيه أمر بالكف عن المشركين اذا قبلوا بالجزية . ومع آية سورة التوبة (٢٩) التى أمرت بالكف عن الكتابيين اذا أعطوا الجزية ، وهناك حديث رواه أبو داود عن انس نهى النبى صلى الله عليه وسلم فيه عن قتل الشيخ الفانى والطفل الصغير والنساء بحيث يقال انه لو وجب قتل اى كافر أو مشرك لوجب قتل النساء والشيوخ ايضا لانهم مدعوون الى الاسلام ، وليس هناك اى حديث فيما اطلعنا عليه يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم بادأ أو أمر بمبادأة طائفة من المشركين أو الكفار بحرب وقتال لانهم لم يسلموا وحسب ، وكل غزواته وسراياه كانت للمقابلة والدفاع والتنكيل والتأديب بسبب موقف عدائى ما ضد الاسلام والمسلمين ومن الجدير بالذكر والتنبيه أن حروب الفتح فى عهد الخلفاء الراشدين سارت فى نطاق سيرة الحروب النبوية والتلقينات النبوية ، فأبو بكر يوصى قواده بأن لا يقتلوا شيخا ولا امراة ولا وليدا ولا راهبا اعتزل فى صومعته وأن لا يقاتلوا الا من قاتلهم ، والجيوش التي سيرها الى بلاد الشام انما

كانت امتدادا لحالة الحرب التى نشبت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين والروم والغساسنة وقبائل مشارف الشام بسبب عدوان هؤلاء على رسل رسول الله وقوافل المسلمين وقتلهم بعض المسلمين ونهب أموالهم وتحشدهم لغزو المدينة ، والحرب التى باشرها خالد بن الوليد فى العراق بأمر أبى بكر كانت بسبب تحريك الفرس وعمالهم فى العراق والخليج العربى لفتنة الردة فيه . وامتداد الحرب الى بلاد الفرس هو امتداد لحالة الحرب الفاشية فى العراق بين المسلمين والفرس وامتدادها لبلاد الترك ثم السند شمالا وشرقا كان بسبب مساعدة هؤلاء الفرس على العرب ، وامتداد الحرب الى بلاد أرمينية كان بسبب مساعدة أهلها الروم على العرب وامتداد الحرب الى مصر وشمال افريقية كان امتدادا لحالة الحرب بين المسلمين والروم الذين كانوا أصحاب سلطان على هذه البلاد ، وكان قواد الفتح يعرضون الخطة الثلاثية النبوية على الذين يطراون على بلادهم محاربين وهى الاسلام أو الجزية أو الحرب وكانوا يكفون عنهم اذا ما جنحوا للسلم أو رضوا بأداء الجزية على ما هو مبسوط فى كتب التاريخ القديمة ولا خلاف فيه ..

ولقد ورد ذلك الحديث فى كتب الحديث ثلاث مرات . مرة مطلقا وهى النص السابق ومرة فى سياق وتفسير آيات سورة الغاشية (انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) ومرة فى مناسبة حرب الردة برواية الخمسة عن أبى هريرة جاء فيها . ان عمر اعترض أبا بكر فى عزمه على قتال المرتدين ، وقال له كيف تقاتلهم وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله**) ، وذلك لأن من المرتدين من ظل يعلن انه مؤمن ويقيم الصلاة وانما امتنع عن الزكاة فقال له أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة من المال ، ويتبادر لنا أن السياق المروى فيه الحديث برواية الترمذى تفسيرا لخطة النبى بالنسبة لمن يعصمون بقولهم (**لا اله الا الله**) دمهم ومالهم ، وانه اراد بذلك ترك حسابهم على ما لا يعرف من أعمالهم ونياتهم الى الله لانه ليس مسئولا ولا محاسبا على أسرار الناس وقلوبهم ، حيث يزول بهذا ذلك الاطلاق الظاهرى المحمول على قتال الناس اطلاقا حتى يقولوا لا اله الا الله ، وفى محاورة عمر وأبى بكر التى روى فيها الحديث نفس الدلالة ، فعمر اعترض على قتال من ظل يقول لا اله الا الله ، تطبيقا للخطة النبوية ، وكان موقف أبى بكر أيضا مصيب لانه رأى فيه تطبيقا لها أيضا ، ويكون فى هذا الشرح وضع للامر فى نصابه ومنع للتعارض بين أحاديث النبى من جهة وبينها وبين كتاب الله من جهة أخرى ، ويكون فى كل ما تقدم وضع للأمر فى نصابه بالنسبة لصفة العدو وكون القتال هو للاعداء المحاربين المعتدين من الكفار والمشركين الذين وقفوا من الاسلام موقفا عدائيا الى أن ينتهوا من هذا الموقف بالاسلام أو بصلح أو بخضوع وجزية ولا يكون سوانح للتفريق بين كفار ومشركى العرب وغيرهم ..

والله تعالى أعلم ..

المرأة والهرة

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت امراة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تاكل من خشاش الارض » .
(رواه البخارى)

تمهيد :

١ ــ لم يعرف بالضبط اسم تلك المراة ، وفى رواية للامام مسلم انها حميرية ، وله أيضا انها من بنى اسرائيل ، ولعلها من الطائفة الحميرية التى تهودت ، فنسبت المراة الى قبيلتها تارة والى دينها تارة أخرى .

٢ ــ فى هرة ــ اى بسبب هرة ، والهرة أنثى السنور ، والهر الذكر ويجمع على هررة كقرد وقردة وتجمع الهرة على هرر كقربة وقرب ، وفى رواية أخرى للبخارى (.. وعرضت على النار فرأيت فيها امراة من بنى اسرائيل تعذب فى هرة لها)(١) .

٣ ــ (خشاش الارض) : هوامها وحشراتها . ويروى بالحاء المهملة) ، ويراد به نبات الارض .

الشرح :

١ ــ يعنف الانسان احيانا ، ويقسو قلبه حتى يتجرد من انسانيته ، ويصبح اشد ضراوة من الحيوان المتوحش ، ويبحث عن كل ما يرضى أنانيته ، ويشبع هواه ، ولا يضيره ألم غيره أو شكواه ، ولا يستجيب لدعائه وتوسلاته ، بل من الناس من يتمتع ويسر بمشاهدة غيره فى أتون العذاب ، وكم من (نيرون) مر بالارض واجتاز الحياة ، وكلما تقدم الزمان نمت معه طباع السوء فى الانسان فصار يستخدم العلم والاكتشاف فى الوصول الى أهدافه الخاصة مهما حطم

(١) فتح البارى ص ١٦٦ جـ ٧ طبعة الحلبى سنة ١٣٧٨ هـ .

فى سبيلها من رؤوس بنى امه وابيه ، فدارت رحى الحروب متلاحقة متتابعة عبر التاريخ واغار القوى على مأمن الضعيف ، فتشتت اسر ، وهلك أطفال ، وبادت حضارات ، ولا زال صاحب الغى سادرا فى غيه ، صور تتكرر وتتجدد مع مر الليالى وكر الايام ، فهل من مدكر .

٢ — جاءت الاديان بكل ملطف ومخفف ، وكان الاسلام خاتمة وقمة فى الدعوة الى الخير ولكن هل استجاب الانسان ؟

الجواب : لا ونعم ، لم يقبل هدى السماء من غلبة عنجهيته وحيوانيته ، فتعاطى وعقر ، وجرد آخر لسانه بكل كريهة واقذاع ، فزادت العداوات واستعر أوارها ، وتغلب الحق حينا بايمان من اراد الله لهم السداد ، ووفقهم الى ما ينفعهم فى عاجلتهم وآجلتهم ، ولاذ بحمى الله من لاذ ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فليس الخالق مخلوقا ينصاع لترهات الحادثين ، ويتغير كالحرباء لسماع كلمة عابرة من ماجن لا يرعى للحرمات الا ولا ذمة . فهو سبحانه نعم الملاذ والملجأ ، ونعم المعين على الشدائد ، ونعم مفرج الكروب ودافع البلاء ، ان اختبر العباد بشدة فهذا لفائدتهم ، ليصبروا فيؤجروا ، والزمان ماض والفلك دوار .

تعز فلا شىء على الارض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا

٣ — .. ورسول الله عليه افضل الصلاة وازكى السلام يرشدنا ويعلمنا بأعماله ، وبأقواله ، بالسلوك الواقعى ، بالتصوير المحس وتجسيم الاشياء فى عبارات مشوقة الى الخير ومنفرة من ضده ، ومن عاش معه باخلاص وتتبع توجيهاته الشريفة بعناية واهتمام سار معه ، ولاحق خطاه ، وانتهج طريقه ، وصارت الحياة الدنيا عنده لا تساوى جناح بعوضة ، فكل نفس يتردد يصرفه لله ، وكل لحظة تمر يقضيها فى عمل ما يرضيه ، وليس مكلفا بأن يجازى محسنا أو يعاقب مسيئا فأمر ذلك كله الى الله وحده .

وتأمل حديث الهرة والمراة ، تجد حيوانا أعجم ضعيفا يعبث به طفل آدمى ولا يستطيع دفعه وتأخذه امراة قاسية ، بعيدة عن هدى الله ، تعيش فى ظلام نفس جاهلة يظلها حقد اسود ويلاحقها طبع دنىء ، فلا تفىء الى أمر الله ، ويشير الحديث الشريف الى ما كان يجب أن تفعله تلك المراة فى مثل موقفها ، حين تعثر بدابة لا حول لها ولا طول ، فتغذيها وتطعمها وتقدم لها ما يقيم أودها ، ويشد من قواها ، مما أفاء الله عليها من خير وما منحها من عطاء ، أو تتركها تمضى فى سبيلها باحثة عن رزقها منقبة عن قوتها ، فى الفلاة ، فى أرض الله الواسعة تتركها تغدو كما تغدو الطير خماصا وتعود بطانا ، تموء وتلعب ، ففى موائها ذكر الله ، وفى حركتها دلالة على قدرته ، وان منعتها برها فقد تجده فى قلب آخر رحيم ، عند انسان عف كريم وكان للقسوة جزاء ، وما أشده من عقاب يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ، فسوف تدخل النار ، لأنها كفرت بأنعم الله ، ولم ترحم مخلوقا من مخلوقات الله . وقع تحت يدها وصار فى متناول قدرتها القاصرة العاجزة ، وان كان هذا الحيوان أعجم لا يحير جوابا ولا يستطيع كلاما ..

والضد بالضد : فلعلكم على ذكر من حديث القلب الرحيم قلب الرجل عابر

الصحراء الذى أروى الكلب اللاهث الذى أكل الثرى من العطش[٢] ، حيث غفر الله له لقاء صنيعه الجميل واسدائه المعروف الى ذى كبد رطبة دون ان ينتظر عليه جزاء عاجلا ولا شكورا ، والمقارنة بين الحديثين تعطى ان الله تبارك وتعالى يجازى على الاحسان احسانا وعلى الاساءة عقابا (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد)[٣] .

٤ ــ لا أرى بأسا أن نتعرض لذكر آراء علمائنا الاجلاء الذين تناولوا هذا الحديث بالشرح والتفسير حيث قالوا :

أ ــ قال القاضى عياض رحمه الله تعالى : يحتمل أن تكون المرأة كافرة فعذبت بالنار حقيقة ، أو بالحساب لأن من نوقش الحساب عذب ، ثم يحتمل ان تكون المرأة قد عذبت بكفرها ثم زيدت عذابا بسبب هذا الفعل الشائن .

ب ــ وقال النووى رحمه الله تعالى : الذى يظهر أنها كانت مسلمة وانما دخلت النار بهذه المعصية .

جـ ــ وقال آخرون ــ سواء كانت كافرة أو مسلمة فانها قد استحقت العذاب بالنار لسوء ما أقدمت عليه من تعذيب حيوان برىء كان فى استطاعتها أن تتركه لحريته ولقدره .

ونخلص من كل هذا الى نظرة خارجية نلقيها على العالم المعاصر أو الغابر أو الآتى :

حيث نجد حروبا استعرت وتستعر فى كل جانب من جوانب الارض أزكتها نفوس رأت فيما رأت ان الخير يجىء اليها عن هذا الطريق فهل فكر مشعلو الحروب فى الاسر والابناء واليتامى والارامل وكل ما ينجم عن هذه الحروب من شقاء وبلاء يزيد الانسانية عذابا والما ممضا ؟ أفلا ينظرون فى أنفسهم وما مدى العذاب الذى يحيق بهم حين يحل بهم ما يصيبون به غيرهم ؟ الا يرجعون الى توجيهات السماء المنبثة فيما أوحى الله الى عباده المصطفين الاخيار ؟ الا يعلمون أن الرزق والاجل محدودان ، وأن علينا أن نعمل ونجد فى توافق وتراحم وتصاف وتحاب وتواد ، وليحصل كل ما يستطيع أن يصل اليه بغير عنف ولا تجن على الآخرين ، بل يجب أن يكون ــ كما توحى تعاليم السماء ــ عالم رحمة وسعادة وأمن ، يوصل من الطمأنينة ما يستطيع الى القلوب الواجفة ، ويرقأ ما يستطيع من دموع الثكالى والحيارى ، هل ضاقت الارض بآهليها ، هل جفت أنهارها وغارت بحارها ؟ أم أمتنعت ارضها عن الانتاج ومناجمها عن الادرار .

والجواب : لا : ان الخير كثير ، وفضل الله على عباده وفير ولكن حب

(٢) ورد هذا الحديث فى عدد سابق تحت عنوان (قلب وكلب) واريد بالقلب هنا الرجل الرحيم الذى سقى حيوانا ضعيفا وتكلف فى سقياه جهدا ومشقة فجازاه الله بالمغفرة والرحمة ، واستحق ان ينوه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف الذى خلد فعله ما بقى زمان ..

(٣) الاية ٣٠ من ال عمران .

البقية على ص: ٢١

الوليد بن عقبة وولايته الكوفة لأمير المؤمنين عثمان

للاستاذ : محب الدين الخطيب

قد يظن من لا يعرف صدر هذه الامة وسر الله فيما كان فيه من أمجاد وتوفيق ، ان امير المؤمنين عثمان جاء بالوليد بن عقبة من عرض الطريق فولاه الكوفة محاباة له لأنه أخوه لأمه ، أما الذين انعم الله عليهم بنعمة الانس بأحوال ذلك العصر ومفاخره وفضائل أهله ، فيعلمون أن الوليد بن عقبة قبل ان يكون أخا لعثمان من أمه فانه كان ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه .

وما كان عثمان أول من ولى الوليد شيئا من أمر الدولة فى خلافته ، بل ان دولة الاسلام الاولى فى خلافة أبى بكر رضوان الله عليه هى التى تلقفت هذا الشاب القرشى الماضى العزيمة ، الرضى الخلق ، الصادق الايمان ، فاستعملت مواهبه فى سبيل الله الى ان توفى ابو بكر ، وأول عمل له فى خلافة الصديق انه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة ١٢ (الطبرى ٤ — ٧) ثم وجهه ابو بكر مددا الى قائده عياض بن غنم الفهرى (الطبرى ٤ — ٢٢) وفى سنة ١٣ كان الوليد يلى لابى بكر صدقات قضاعة ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة والثقة والكرامة ، فكتب الى عمرو ابن العاص والى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد ، فسار ابن العاص بلواء الاسلام نحو فلسطين ، وسار الوليد بن عقبة قائدا الى شرق الاردن (الطبرى ٤ — ٢٩ — ٣٠) ثم رأينا الوليد فى سنة ١٥ اميرا على بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة (الطبرى ٤ — ١٥٥) يحمى ظهور المجاهدين فى شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم ، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ — مسلمهم وكافرهم وانتهز الوليد بن

عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه الجهة التى لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية ، فكان — مع جهاده

الحربى ، وعمله الادارى — داعيا الى الله يستعمل أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى اياد وتغلب على أن يكونوا مسلمين كسائر العرب ، وهربت منه اياد متوغلة فى الانضول الذى كان تحت حكم الروم البيزنطيين فحمل الوليد خليفته عمر بن الخطاب على كتابة كتاب تهديد الى قيصر القسطنطينية بأن يردهم الى حدود الدولة الاسلامية ، وحاولت تغلب أن تتمرد على الوليد فى نشره الدعوة الاسلامية بين شبانها وأطفالها فغضب غضبته المضرية المؤيدة بالايمان الاسلامى ، وقال فيهم كلمته المشهورة .

اذا عصبت الراس منى بمشوذ
فغيك منى تغلب ابنة وائل

وبلغت هذه الكلمة عمر ، فخاف أن يبطش قائده الشاب بنصارى تغلب ، فيفلت من يده ، زمامهم فى الوقت الذى كانوا يحاربون فيه مع المسلمين حمية للعروبة ، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطقتهم .
بهذا الماضى المجيد جاء الوليد بن عقبة فى خلافة عثمان فتولى له الكوفة وكان من خير ولاتها عدلا ورفقا واحسانا . وكانت جيوشه — مدة ولايته على الكوفة — تزحف الى آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة .

اراد الوليد بن عقبة منذ ولى الكوفة لامير المؤمنين عثمان — ان يكون الحاكم المثالى فى العدل والنبل والسيرة الطيبة مع الناس ، كما كان المحارب المثالى فى جهاده وقيامه للاسلام بما يليق بالذائذين عن دعوته ، الحاملين لرايته ، الناشرين لرسالته ، وقد لبث فى امارته على الكوفة خمس سنين وداره الى اليوم الذى زايل فيه الكوفة — ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف ومن لا يعرف ، فكان يغشاها كل من شاء متى شاء من ليل أو نهار . ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر من الناس .

فالستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من ستر

وكان ينبغى أن يكون الناس كلهم محبين لاميرهم الطيب ، لأنه أقام لغربائهم دور الضيافة ، وادخل على الناس خيرا حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ، ورد على كل مملوك من فضول الاموال فى كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الامير المثالى طول مدة حكمه . الا أن فريقا من الاشرار واهل الفساد أصاب ببنهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد فوقفوا حياتهم على ترصد الاذى له . ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم ابا زينب ابن عوف الازدى ، وآخر يسمى ابا مورع ، وثالث اسمه جندب أبو زهير ، قبضت السلطات على ابنائهم فى ليلة نقبوا بها على ابن الحيسمان داره وقتلوه ، وكان نازلا بجواره رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل السابقة فى الاسلام وهو ابو شريح الخزاعى حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش خزاعه يوم فتح مكة ، فجاء هو وابنه من المدينة الى الكوفة ليسيرا مع احد جيوش الوليد بن ←

عقبة التى كان يواصل توجيهها نحو الشرق للفتوح ونشر دعوة الاسلام ، فشهد هذا الصحابى المجاهد وابنه فى تلك الليلة سطو هؤلاء الاشرار على منزل ابن الحيسمان وسفكهم لدمه ، وادى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين ، فانفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر فى الرحبة ، فكتب آباؤهم العهد على انفسهم للشيطان بأن يكيدوا لهذا الامير الطيب الرحيم ، وبثوا عليه العيون والجواسيس ليترقبوا حركاته ، وكان بيته مفتوحا دائما . وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من شعراء الشمال كان نصرانيا فى اخواله من تغلب من ارض الجزيرة واسلم على يد الوليد ، فظن جواسيس الموتورين أن هذا الشاعر الذى كان نصرانيا لا بد أن يكون ممن يشرب الخمر ، ولعل الوليد أن يكرمه بذلك ، فنادوا أبا زينب وأبا المورع وأصحابهما ، فاقتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد ، فلما فوجىء بهم نحى شيئا ادخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرجه بلا اذن من صاحب الدار ، فلما اخرج ذلك الشىء من تحت السرير ، اذا هو طبق عليه تفاريق عنب ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون من الخجل ، وسمع الناس بالحكاية فأقبلوا يسبونهم ويلعنونهم ، وقد ستر الوليد عليهم ذلك وطواه عن عثمان ، وسكت عن ذلك وصبر ، ثم تكررت مكايد جندب وأبى زينب وأبى المورع ، وكانوا يغتنمون كل حادث ويسيئون تأويله ويفترون الكذب . وذهب الذين كانوا عمالا فى الحكومة ونحاهم الوليد عن أعمالهم لسوء سيرتهم ، فقصدوا المدينة وجعلوا يشكون الوليد لامير المؤمنين عثمان ويطلبون منه عزله عن الكوفة ، وفيما كان هؤلاء فى المدينة دخل أبو زينب وأبو المورع دار الامارة بالكوفة مع من يدخلها من غمار الناس ، وبقيا فيها الى ان تنحى الوليد ليستريح ، فخرج بقية القوم ، وثبت أبو زينب وأبو المورع الى أن تمكنا من سرقة خاتم الوليد من داره وخرجا ، فلما استيقظ الوليد لم يجد خاتمه فسأل عنه زوجتيه — وكانتا فى مخدع تريان منه زوار الوليد من وراء ستر ، فقالتا ان آخر من بقى فى الدار رجلان ، وذكرتا صفتهما وحليتهما للوليد ، فعرف أنهما أبو زينب وأبو المورع ، وأدرك أنهما لم يسرقا الخاتم الا لمكيدة بيتاها ، فأرسل فى طلبهما فلم يوجدا فى الكوفة ، وكانا قد سافرا توا الى المدينة ، وتقدما شاهدين على الوليد بشرب الخمر ، فقال لهما عثمان — كيف رأيتما ؟ قالا : كنا فى غاشيته فدخلنا عليه وهو يقىء الخمر ، فقال عثمان : ما يقىء الخمر الا شاربها ، فجىء بالوليد من الكوفة ، فحلف لعثمان وأخبره خبرهم ، فقال عثمان — نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار .

هذه قصة اتهام الوليد بالخمر كما فى حوادث سنة ٣٠ من تاريخ الطبرى . وعناصر الخبر عند الطبرى ، ان الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد غلهم عليه ، ولم يرد فى الشهادة ذكر الصلاة من اصلها ، فضلا عن أن تكون ركعتين أو أربعا وهناك زيادة للحضين بن المنذر بلفظ « شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان

احدهما حمران انه شرب الخمر وشهد آخر انه رآه يتقيأ » . فكلمة صلاة الصبح وأزيدكم من كلام حضين ، وحضين لم يكن من الشهود ، ولا كان فى الكوفة فى وقت الحادث المزعوم ، وانما كان عند عثمان بالمدينة لما أتى عثمان بالوليد ، وحضين لم يسند هذه الكلمات الى انسان معروف . وخبر حضين هذا مروى هكذا عند مسلم ، ومروى أيضا عند أحمد فى موضعين ليس فيهما ذكر للصلاة بلسان حضين ولا غيره ، فلعل احد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من كلام الشهود ، فاقتصر على ذكر الحد ، وروى الخبر فى مسند احمد فى موضع ثالث عن حضين بصيغة تعارض أصل الخبر فى عدد الركعات . وفى الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن أنه من كلام حضين ، وحضين ليس بشاهد ، ولم يرو عن شاهد ، فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه . وسائر الشهود مغرضون لا يقام بمثلهم حد الله على ظنين من السوقة والرعاع ، فكيف بمجاهد كريم وضع الخليفة فى يده أمانة قطر ، وقيادة جيوش ، فكان عند الظن به من حسن السيرة فى الناس ، وصدق الرعاية لامانات الله ، وكان موضع الثقة عند ثلاثة هم اكمز خلفاء الاسلام ابى بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين .

بقيت ناحية من امر الوليد لا يكون الكلام على حياته تاما الا باستيفائها ، وهى ما تناقله المفسرون من أنه هو الذى نزلت فيه آية الحجرات ٦ . (**ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**) .

ولقد كنت أعجب فيما مضى كيف تكون هذه الآية نزلت فيه ويسميه الله فاسقا ، ثم تبقى له فى نفس خليفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى بكر وعمر المكانة التى سجلها له التاريخ ، واوردنا الامثلة عليها آنفا عند استعراضنا ماضيه فى بضعة عشر عاما قبل أن يوليه عثمان الكوفة ، ان هذا التناقض بين ثقة أبى بكر وعمر بالوليد بن عقبة ، وبين ما كان ينبغى أن يعامل به لو أن الله سماه فاسقا — قد حملنى على الشك فى أن تكون آية الحجرات نزلت فيه لا استبعادا لوقوع أمر من الوليد يعد به فاسقا ، ولكن استبعادا لأن يكون الموصوم بالفسق فى صريح القرآن محل الثقة من رجلين لا نعرف فى أولياء الله عز وجل — بعد رسوله صلى الله عليه وسلم — من هو أقرب الى الله منهما .

وبعد ان ساورنى هذا الشك ، أعدت النظر فى الاخبار التى وردت عن سبب نزول هذه الآية ، فلما عكفت على دراستها ، وجدتها موقوفة على مجاهد او قتادة أو ابن أبى ليلى أو يزيد بن رومان ، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الاخبار فى مدة مائة سنة أو اكثر مرت بين أيامهم وزمن نزول الآية ، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة ، وان الذين لهم هوى فى تسوىء سمعة مثل الوليد ، ومن هم أعظم مقاما من الوليد ، قد ملأوا الدنيا اخبارا مريبة ليس لها قيمة علمية ، وما دام رواة تلك الاخبار فى سبب نزول هذه الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الاخبار عليهم ، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم فمن غير الجائز شرعا وتاريخا الحكم بصحة هذه الاخبار المنقطعة التى لا نسب لها وترتيب

الاحـــكام عليها . فالوليد بن عقبة بريء شرعا من نسبة سبب نزول هذه الآية اليه . ولذلك تفصيل فنى أوردته فى التعـــليق على كتـــاب العواصم من القواصم ولا اطيل به هنا لأن المجال فى موقفنا هـــذا يضيق عن استيفائه .

مصحف عثمان وجمعه

روى الامام البخارى فى صحيحه (رقم ٤٩٨٧) حديث أنس بن مالك خادم رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان حذيفة بن اليمان — أحد قادة جيوش عثمان — قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح ارمينية وأذربيجـــان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمـــان — يا أمير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

وفى رواية عمـــارة بن غزية ان حذيفـــة قدم من غزوة ، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك الناس ، قال عثمان : وما ذاك ؟ قال : غزوت فرج أرمينية فاذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبى ابن كعب ، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق . واذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود ، فيأتون بما لم يسمع أهل الشـــام ، فيكفر بعضهم بعضا .

واخرج ابن ابى داود — فى كتاب المصـــاحف — من طريق يزيد بن معـــاوية النخعى قال : **((انى لفى المسجد — أى مسجد الكوفة — زمن الوليد بن عقبة فى حلقة فيها حذيفة فسمع رجلا يقول : قراءة عبد الله ابن مسعود ، وسمع آخر يقول : قراءة ابى موسى الاشعرى فغضب — أى حذيفة بن اليمـــان — ثم قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال : هكذا كان من قبلكم اختلفوا ، والله لاركبن الى أمير المؤمنين))** .

قال البخارى فى تمام رواية انس ابن مالك : **((فأرسل عثمـــان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحف — أى التى دونها زيد بن ثابت فى زمن أبى بكر بالحاح عمر رضى الله عنهم — فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فامر زيد بن ثابت وعبـــد الله بن الزبير وســـعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشـــام فنسخوها فى المصـــاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتـــم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن — وفى رواية شعيب — فى عربية من عربية القرآن — فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصـــة ، فأرســـل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق))** .

ان العنـــاية التى بذلها عظيما الاســـلام ابو بكر وعمر ، وأتمها اخوهما ذو النورين عثمان فى جمع القرآن وتثبيته وتوحيد رسمه ، كان لهم بها أعظم المنة على المسلمين ، وبهـــا حقق الله وعده فى قوله سبحانه **((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون))** . وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشـــيوخ الثلاثة أمير المؤمنين على ، فأمضى عملهم ، واقر مصحف عثمان برســـمه وتلاوته ، فى جميع أمصـــار ولايته ، وبذلك انعقد اجماع المسلمين فى الصـــدر الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم بل نقل بعض علماء الشـــيعة هذا الاجماع

على لسان امير المؤمنين على بن ابى طالب . جاء فى كتاب تاريخ القرآن لأبى عبد الله الزنجانى (ص ٤٦) من شـــيعة عصرنا أن على بن موسى المعروف بابن طاوس (٥٨٩ — ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل فى كتابه سعد السـعود عن الشهرسـتانى فى مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال : سـمعت على بن ابى طالب عليه السلام يقول : ((**أيها الناس ، الله ، الله ، أياكم والغلو فى أمر عثمان وقولكم حراق المصـاحف ، فوالله ما حرقهـا الا عن ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعنا وقال : ما تقولون فى هـذه القراءة التى اختلف الناس فيهـا ، يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يجر الى الكفر ، فقلنا : ما الراى ؟ قال : اريد أن أجمع الناس على مصـحف واحد ، فانكم ان اختلفتم اليوم كان من بعدكم اشد اختلافا ، فقلنا : نعم ما رأيت**)) .

ومما لا ريب فيه ان البغاة على عثمان كانوا فى خلافة على — رضى الله عنهما — يتبرءونه فى مصاحف عثمان التى اجمع عليها الصحابة وعلى فيهم .

نعم ، أراد عبد الله بن مسعود ان يحتفظ بمصحفه ، ولكن لم يرد الله ونصر الله عثمان والحق ببقاء مصحف عثمان هو المصحف المتلو فى أنحـاء الارض من زمنه الى يوم الناس هذا ، والى يوم القيـامة ، ولله الحمد على ذلك .

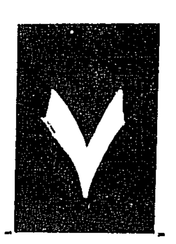
بقية من هدى السنة

الغلبة والسيطرة ، وحب الدماء لدى بعض النفوس هو الذى يملأ الدنيا صخبا ولجبا وعويلا وبكاء وصراخا ، ويملأ جوها غازات خانقـة وقنابل محرقة ، وطيارات تحمل الموت الزؤام ومدافع تتنفس بالدماء والابادة والافناء ، فيا لله للانسانية المعذبة بأيدى فجرة من أبنائها ، وكفرة من عتاة ظالمين لا يرعون للحق الا وذمة ولا يعرفون للحرمات قيمة ولا قدرا .

٥ — وأعود مرة أخرى الى المسلمين فأذكر بكتاب الله القائل : ((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)) وما ورد فيه من قصص الغابرين وعاقبة المجرمين ، ونهاية الظالمين ، وسوء منقلب المعتدين ، كما أذكر بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته الشريفة الى رحمة الحيوان الاعجم والرفق بكل ذات كبد رطبة ، وايضاحه صلى الله عليه وسلم ما أعد جزاء للمتقين ، وعقابا للمتعدين حدود الله ورسوله .

وادعو الله أن يوجهنا الى الاقتناع بما ورد على السنة رسله وأنبيائه والا ننساق وراء الآراء الوافدة المبيدة التى تفكك الروابط وتهلك المجتمعات وتقطع الصلات وتزكى روح الحقد والبغضاء ، وصـدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين)) فمن فقه وعلم واقتنع اهتدى ، ((ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى))(٤) .

(٤) الايات الكريمة ١٢٤ — ١٢٥ — ١٢٦ — ١٢٧ من سورة طه .



من أسس قضايا المرأة

للأستاذ : البهي الخولي

— ١ —

هناك أمران من الأمور المسلمة فى الفطرة والشرع يجب استحضارهما فى الذهن عند مناقشة ما يسمونه « عمل المرأة » ..

الأول : ان العمل فى ذاته مشروع غير محرم على احد ما دام فى غير معصية ، وقد اتجهت المرأة منذ فجر التاريخ ، أو ما قبله الى أعمال ليست من صميم وظائفها ، ولكنها تلابس تلك الوظائف أو تتصل بها وتؤكدها .. وتطورت تلك الأعمال على مر الدهور والأحقاب فكانت ما نعرف ، من غسل وطبخ وخبز وخياطة ، وغزل وتطريز ، ونحو ذلك مما بدأ أساسا باحساسها نحو رعاية الطفل والزوج على صورة ساذجة ..

ويلاحظ على هذه الأعمال أنها بدأت بباعث وجدانى اختيارى محض لم يجبرها عليه احد اذ انبعثت اليه بمحض احساسها نحو ولدها . تعد له المهاد واللفائف التى تقيه عوارض الجو ، وبمحض ما تحس نحو زوجها من نزوع فيه حب وتأثر بما يبديه لها من عطف ورعاية . فهى — وان لم تكن من صميم وظائفها كالارضاع والسكن — متصلة بها ، ذات أثر فى مؤازرة بواعثها . وتحقيق ثمرها ... وهى باشتغالها بذلك — وجدانيا وعمليا — تؤكد لصوقها بوظائفها واندماجها فى شواغلها ودواعيها ..

وحكم الاسلام فى الاشتغال بتلك الأعمال هو حكم الطبيعة . فان على بن أبى طالب وزوجته فاطمة عليهما السلام لما عرضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قضية عملهما حكم أن يكون لعلى عمل الخارج . ولفاطمة عمل البيت .

وقد راعى الاسلام فى ذلك أن عملها فى البيت لولدها ورجلها يختلط بوجدانها ، فهو لا يعارض وظائفها الأساسية بل يؤازرها ويوثق روابطها بها .

واذا كانت ذات مهارة فى شىء منه . ورأت أن تتكسب به فى المنزل فلها ذلك على أن يأذن لها زوجها . وألا يستغرق وقتها ووجدانها وفكرها فيخرجها عن مقتضيات مهمتها الأصيلة .

ولما كان مصير البنت أن تكون زوجة جعل الاسلام من حقها أن تتثقف فى مهمتها . وما يتصل بها من أعمال البيت والأسرة . على حسب ما تبلغه ثقافة عصرها ، وما تتيحه لها ظروفها الخاصة اعدادا لدورها المقبل . وتهيئة لنفسها

وذهنها له ...

والأمر الثانى : أن الطبيعة اذ جعلت المراة أنثى لم يكن ذلك عن خطأ أو عمل جزاف ، بل عن قدر فى علم الله لتحقيق مقاصد لها مكانها من الحكمة والمصلحة .. وأن البيت هو المكان الطبيعى الذى تتحقق فيه وظائف الأنوثة وثمارها ، وأن بقاءها فيه هو بمثابة الحضانة التى تجنب خصائص تلك الوظائف وقوانينها أسباب البلبلة والفتنة ، وتوفر لها تناسقها فى مجالها ، وتحيطها بكثير من أسباب الدفء والتركيز النفسى والذهنى ونحوه مما يهىء الظروف الضرورية لعملها ..

واذا كان ذلك منطق الفطرة فقد جاء فيه قول الله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن » قال القرطبى : « أى ليس للزوج أن يخرجها من مسكن الزوجية ، ولا يجوز لها الخروج الا لضرورة ظاهرة »(١) ، والمعروف أن هذه الآية نزلت فى المعتدة ، ولكن حكمها يسرى على الزوجة . قال ابن العربى : قال مالك : « ولا تخرج المعتدة دائما ، وانما اذن لها فى الخروج ان احتاجت اليه ، وانما يكون خروجها فى العدة كخروجها فى الزواج لأن العدة فرع الزواج »(٢) .

وقد لحظ أئمة الفقه والتفسير أن البيوت مضافة الى ضمير النسوة فى قوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن » وفى قوله : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » وقوله : « وقرن فى بيوتكن » مع أن البيوت للأزواج لا لهن ، وخرجوا من ذلك بأنها ليست اضافة (تمليك) بل اضافة (اسكان) تقررت لاستمرار لزوم المراة البيت — الا لحاجة — حتى أضيف اليها(٣) .. والاسكان معناه الزام بالاقامة قال الكاسانى : « ومنها — أى من الأحكام التى تترتب على عقد الزواج — صيرورتها ممنوعة عن الخروج والبروز لقوله تعالى : « اسكنوهن » والأمر بالاسكان نهى عن البروز اذ الأمر بالشىء نهى عن ضده ، ولقوله عز وجل : « لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن » ولأنها لو لم تكن ممنوعة من الخروج والبروز لاختل السكن ، والنسب) .(٤)

فالمقرر فى الفطرة ، وفى الشرع : أن البقاء فى المنزل هو الأصل ، وأن الخروج منه — لقصد مشروع — هو الفرع ، ومن تطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قوله : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن »(٥) . فعبادة الله — وهى حكمة وجود الانسان ، وأشرف مقاصده — يجيز الشرع للمرأة أن تخرج لأدائها فى المسجد ، ولكنه يرى أداءها فى البيت خيرا لها ، لا لأن البيت فى ذاته أفضل من المسجد ، فان المعروف أن أفضل بقاع الأرض المساجد ، بل لما ذكرنا من تجنب الفتنة والبلبلة والعوارض التى تشوش خصائص الأنوثة ، ولكفالة الاستقرار والتفرغ لمهمتها ..

---

(١) جـ ١٨ ص ١٥٤ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

(٢) جـ ٢ ص ٢٦٦ من أحكام القرآن لابن العربى .

(٣) المصدران السابقان ، وأحكام القرآن للجصاص .

(٤) جـ ٢ ص ١٢٢ من بدائع الصنائع للكاسانى .

(٥) رواه ابو داود .

فهذان أمران اذا عالج بهما الانسان قضية « عمل المراة » لم يخطىء فيها حكم الطبيعة ولا الشرع .

الأول : أن العمل فى ذاته مشروع على الا يستغرق وقتها ، وفكرها ، ووجدانها فيخرجها عن خصائصها ومقتضيات مهمتها الفطرية .

والثانى : أن البيت هو المكان الطبيعى لتحقيق المقاصد العليا الروحية والاجتماعية التى أرادها الله بخلق الأنثى ، وانه لا يجوز لها الخروج منه الا لمصلحة ، أى لا يكون ذلك دائما كما يقول الامام مالك اجتنابا للمضار التى ذكرنا .

فلها — فى نطاقهما — أن تزاول أى عمل فكرى ، أو بدنى فى البيت أو خارجه ، فى الريف أو الحضر ، بأجر أو بغير أجر ، على أن تلتزم فى ملبسها وزينتها وسلوكها ، وعدم الخلوة ، واذن الزوج على ما سنه الشرع فى ذلك .

لها أن تخرج من بيتها لتعمل فى الحقل ، أو لتبيع ما لا حاجة اليه من الحاصلات ونحوها ، أو لتشترى ما تريد من المتاع والملابس ، والأطعمة ونحوها ، سواء أكان ذلك لمصلحة أسرتها ، أو لمصلحتها الخاصة .. ولها أن تخرج لضرورة علمية لتسمع محاضرة أوعظة ، أو تشهد مؤتمرا أو ندوة ..

ولها أن تفتى الناس فى دينهم ولها أن تلتحق بالجيش وقت الحرب فى أعمال التمريض والاسعاف والخدمةو نحوها .. ولقد ثبت أن النساء كن يخرجن باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الجيش لخدمة الرجال ، وتمريض الجرحى ، والقيام بأعمال الاسعاف ، فقد روى البخارى واحمد عن الربيع بنت معوذ قالت : (كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ، ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة) .. بل لها أن تحمل السلاح فى الحرب ، وقد ورد فى خبر الرميصاء ، زوج ابى طلحة — فى صحيح مسلم — (أنها اتخذت خنجرا يوم حنين ، فلما سألها زوجها عنه قالت : اتخذته ، ان دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه) ، وقد أخبر زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فلم ينكر عليها ..

— ٢ —

وكل ذلك واضح فى المصالح التى لا تقتضيها أن تخرج كل يوم فتستغرق وقتها وجهدها ، ويترتب عليها اهمال واجبها الأصلى .. أما اذا اتخذ العمل صفة الدوام للتكسب بالخارج ، من حرفة ، أو وظيفة تشدها اليها بمشاغل ، والتزامات ومسئوليات أساسية كالذى نعهده من حال المرأة العاملة اليوم ، فهو غير جائز ، لأنه يخرج عن نطاق الأمرين السابقين : كون البيت هو المكان الطبيعى لتحقيق مهماتها الأساسية .. وألا يستغرق العمل وقتها ، وفكرها ، ووجدانها .... أو لأنه يتضمن مضار الخروج عنها على النحو الآتى :

أولا : أن المعروف انها تخرج كل يوم مع الصباح بحكم عملها الرتيب طول الاسبوع .. وطول الشهر .. وطول السنة .. وكل سنة حتى تبلغ سن الاحالة الى المعاش ، أو العجز عن العمل .. وذلك من الوجهة الشرعية لا يحقق معنى « أسكنوهن » الذى قرره الكاسانى ، ومعنى قوله تعالى : « لا تخرجوهن

من بيوتهن ولا يخرجن » . .

ذلك الى ان خروجها هذا الرتيب يجعل حاجتها الى البيت كحاجة الرجل اليه : كلاهما يحتاج اليه للاستجمام من عناء يومه ، ليغادره قويا نشيطا الى عمله صباح اليوم التالى . . فاذا استويا فى حاجة كل منهما اليه ، فهو ابطال لموجب اضافة البيت اليها فى قوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن » ، « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن » فان تلك الاضافة — على ما قدمنا — ليست اضافة « تمليك » بل اضافة « اسكان » تقررت لاستمرار لزوم المرأة البيت . .

واذا ، فخروجها على هذا النحو تعطيل لنصوص كتاب الله ، وابطال لما أراد به تعالى من مقاصد روحية واجتماعية لا تتحقق الا باستقرارها فى البيت . . .

ثانيا : ان عملها الذى أسلفنا يتخذ « روتينا » يوميا يتكرر — كما ذكرنا — طول الأسبوع ، وكل شهر ، وكل سنة حتى تبلغ الاحالة الى المعاش ، أو سن العجز . . وبتكرره واندماجها فيه يصطبغ فكرها بصبغته وطبيعة مشاغله وملابساته . . وينشأ لها احساس يلزمها المواعيد الرتيبة ، وينبه فيها حافز التقرب الى رياسة العمل والجد فيما يرضيها مع حذر الوقوع فيما يجلب لها ملامة ، أو يغير نفس رئيس عليها . . فتتخذ بذلك كل المشابه الفكرية والنفسية لكل موظف بصفة عامة ، ولكل من يعمل مثل عملها ويشغله من أمره ما يشغلها بصفة خاصة ، فهى اقرب الى الائتلاف به من سواه ، ولو كان من جهة غير جهتها . . اذا تحدثا عن ظروف عملهما ، واحداث واقعه ، وما قد يلابسه من علاقة الرؤساء ، وأحلام او انباء العلاوات والترقيات . . الخ . .

هذا المزاج من الفكر والوجدان الذى يغشى نفسها ، ويخالط فكرها واحساسها ، لا جرم يكون له طابعه فى تصوراتها ، وتصرفاتها ، فلا يقال : انها مندمجة فى سنن فطرتها وشواغل وظيفتها الأولى . . وذلك غير جائز . .

ولا نعنى أن اكتسابها هذا المزاج يفسد استعدادها للحمل والصلة الجنسية ، بل نعنى انه يشوش مزاجها الجامع لخصائص انوثتها وقوانينها ، فان الأنوثة ليست مجرد تكوين بدنى تحصل به الصلة الجنسية ، بل هى قبل ذلك خصائص من الوجدان والفكر والقوانين لتحقيق ما أراد الله من مقاصد . . فاذا كان ذلك التأهيل النفسى ، وما اليه من قوانين ، هو العدة لتلك المقاصد ، فان اكتساب هذا المزاج الذى يؤثر فى تصوراتها وتصرفاتها يعارض ذلك التأهيل ويحد من قدرته على تحقيق مقاصده ، بقدر ما يدخل عليه من تشويش وتغيير .

ولننظر الى اثر ذلك فى علاقتها بزوجها — نفسيا — فان للوظيفة التى تندمج فيها ، وللمرتب الذى تتقاضاه بجهدها ، وللنصيب الذى تسهم به فى نفقات المنزل ، اثرا يشغل فكرها ونفسها بمثل الأثر الذى يشغل به الزوج نفسه وفكره طول اليوم وكل يوم . . فالتفكير فى العمل ، ورتوبته ، وملابساته ، ومسئولياته واحد لكل منهما . . ونصيبها الرتيب الذى تسهم به فى نفقات البيت ونصيبه الذى يسهم به يقيمهما على مسئولية متماثلة قبل البيت الذى يجمعهما ويطبع فى نفس كل منهما احساسا اقتصاديا له أثره فى « تكييف » العلاقة بينهما . . وهى بحكم عملها ذات احساس بأنها (كاسب) مثله على السواء

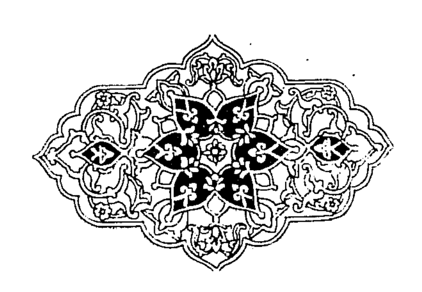
.. فأى شىء من تلك العوامل النفسية يمكن أن يؤازر الأسس الفطرية التى يقوم بها الزواج فى الضمير ليكون له فى خارج الضمير اثره واستقراره ؟!.

١ — ان من تلك الأسس أن المرأة سكن للرجل ، فهل يمكن أن يجد ذلك السكن لدى امرأة قد يحضر فلا يجدها ، لأنها فى عملها .. أو يجدها ولكنها مثله مثقلة بتعب الفكر ، والنفس ، والجسم ؟. او هل يجد ذلك السكن لدى امرأة غاضت رهافة حسها بملالة الروتين ، وقسوة العمل ومسئولياته ، واستبدلت بها طابع المماثلة بينها وبينه ، فاذا لقيته ، لقيته — فى غير تعمل — باحساس أنها (كاسب) مثله .. وأنها صنوه .. فى تبعات اقامة ذلك البيت .. ولمح كل منهما فى الآخر وحدة المزاج الذى طبعه روتين الوظيفة وشواغلها على ذهنه ونفسه .. فلا هى تجد فيه طعم البأس والجزالة المغنية الذى كانت تذوقه برقتها ووداعة حسها فيملأ وجدانها بالاعجاب والرضا ، ولا هو يجد لديها ذلك الطعم الذى يفتقده فى صراع الحياة ، طعم التسليم ببأسه والرضا بامتيازه . وهو الطعم الذى يرضى طموحه ، ويؤكد ثقته بنفسه ، ويجدد له عناصر القوة والعزيمة فيه ؟ .

٢ — واذا كان هو بذلك يفتقد السكن بكل ضروبه فهى بافتقاد طعم البأس الذى يملأ وجدانها بالاعجاب والرضا . تفقد روح قانون (القوامية) ونبع احساسها واقرارها به .

وقانون (القوامية) هو الذى يتضمن قول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء ... وبما انفقوا من أموالهم » وهو قانون يطبع نفس الأنثى بطابع التقبل . ويطبع نفس الرجل بالنسبة لها بطابع الايجاب . ومظهره ان يقوم لها بكل تبعات الحماية ونفقات المعيشة .. وقد قلنا عنه : « انه من القوانين التى لا تنعقد روابط الأسرة الا بها .. فقوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » يتضمن أن من الأسس التى يتكون منها بناء الأسرة ان يكون الرجل وحده مناط المسئولية والتكليف بما هو ضرورى للبيت من ضروب النفقة . وان يكون قواما — فعلا — بذلك .. هذا من حيث الظاهر . اما حيث الباطن فيجب أن يكون مفهوم هذا القول الكريم قانونا نفسيا قائما بنفس كل منهما فى رضا وطمأنينة فاذا هى فقدت نبع احساسها بتلك القوامية . وفقد هو عنصر الايجاب . الذى ينيط به التبعات . فقد خلت الرابطة بينهما من أحد ينابيع الالتئام التى تقوم بها حقيقة الزواج فى الضمير ..

فاذا أدى عمل المرأة الى أن يطبع فى ذهنها ووجدانها تلك الاثار . ويكون من نتيجته فقدان السكن بكل ضروبه ، وامحاء قانون القوامية ، فهل يمكن أن يقال : انه العمل الذى يؤازر خصائصها ؟ وانه العمل الذى يجيزه الشرع ؟.



مشاعر نفسية وراء بعض الخلافات

للشيخ : محمد الغزالي

المؤمنون أفرادا وجماعات يتحرون صراط الله في مسالكهم كلها ، ويجتهدون أن تقع أعمالهم وفق مراد الشارع الحكيم سواء فى العبادات المنقولة او المعاملات المعقولة ..

وغير المؤمنين يخطون طريقهم فى الحياة بجهدهم الفكرى ، وتجاربهم الخاصة ، وصلتهم بالوحى الاعلى مقطوعة أو واهية .

وفى الوقت الذى تحكم فيه النصوص السماوية والقواعد الدينية حياة المؤمنين بالله ، نجد غير المؤمنين ينشطون بفكرهم المجرد للتصرف فى هذه الحياة ، ووضع ما يرون من دساتير وقوانين يظنون انها تكفل مصالحهم وتضمن سعادتهم ..

وقد اتسعت علوم السياسة والاجتماع والاخلاق والاقتصاد وغيرها من العلوم الانسانية البحتة وانفردت بقيادة الانسان على ظهر الارض الى جانب مجموعة من الفلسفات النظرية التى اشتغل بها العقل البشرى من قديم ..

اما المؤمنون بالله ، ونحن فى هذا الفصل نعنى المسلمين خاصة ، فهم يعتمدون على شمول التعاليم السماوية لشئون حياتهم ويستغنون بها عما وراءها من مذاهب ونظرات ..

معتقدين أن فى هدايات الله الغنى الكامل ، وأن الله جل شأنه قد ضبط معاشهم ومعادهم بكلامه وسنة نبيه ، فلا مكان لشىء آخر بعد ..

« الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان .. »

« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط .. »

والحق أن الوحى الالهى فى الرسالة الخاتمة قد كفى وشفى ، فحدد حيث ينبغى التحديد وفصل حيث يستحب التفصيل ، وأجمل وعمم حين يقتضى الامر ارسال التعليمات مجملة عامة .. وحث العقل على أداء وظيفته فى الفقه

والاكتشاف والتبصر والاعتبار .. وحذره أن يجانب الحق بالحدس والتخمين ، وأن يبدد قواه فى اقتحام الغيوب المعجزة ..

كما علمه الادب مع الله ورسوله ، فلا مكان لاقتراحاته حيث يتكلم الوحى ، ولا لابتداعاته حيث مضت السنة ..!!

والمعانى التي قررناها آنفا ليست موضع خلاف بين المسلمين ، ولكن الخلاف أخذ لونا آخر يقترب اقترابا شديدا من هذا الموضوع ، فقد تساءل أسلافنا غفر الله لهم عن مكانة العقل بالنسبة الى الحظر والاباحة والفعل والترك والاستهجان والاستحسان ، وكانت اجابة كثير منهم أن العقل فى هذا الميدان صفر ، وأن الشرع وحده هو كل شىء ..

وفى هذه الاجابة غموض وجَور .. !

فان العقل يستطيع بنوره الذاتى أن يعرف الشر فى أشياء كثيرة وأن يلحظ الخير فى أشياء كثيرة وقد لفت القرآن الانسان الى أنه بفطرته قادر على التفرقة بين شناعة الجهل وكرامة العلم « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب** » .

والى أنه بفطرته يستقبح الظلم ويأبى الحكم به « **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** » .

صحيح أن العقل الانسانى بحاجة الى عون من الله ، ومدد من الوحى ..
بيد أن هذه الحاجة لا تعنى بخس قيمته ، ولا التهوين من قدرته المحدودة فى مجال التحسين والتقبيح لكن جمهور السلف رأى — سدا لباب الاستغناء بالعقل — أن يجعل الشارع صاحب الكلمة الاولى والاخيرة فى هذا المجال ، ويقرر هذا العلامة الزنجانى فى كتابه[1] : (تخريج الفروع على الاصول) فيقول : ذهب الشافعى رضى الله عنه وجماهير أهل السنة الى أن الطهارة والنجاسة وسائر المعانى الشرعية كالرق والملك والعتق والحرية ، وسائر الاحكام الشرعية ككون المحل طاهرا أو نجسا ، وكون الشخص حرا أو مملوكا ، ليست من صفات الاعيان المنسوبة اليها ، بل أثبتها الله تحكما وتعبدا ، غير معللة !! لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولا تصل آراؤنا الكليلة ، وعقولنا الضعيفة ، وأفكارنا القاصرة الى الوقوف على حقائقها ، وما يتعلق بها من مصالح العباد ، فذلك حاصل ضمنا وتبعا ، لا أصلا ومقصودا ، اذ ليست المصلحة واجبة الحصول فى حكمه ..

واحتج على ذلك : بأن الله تعالى اذا جاز أن يعاقب الكافر على كفره ، والفاسق على فسقه ولا مصلحة لأحد فيه ، جاز أن يشرع الشرائع ، وأن تعلق بها مفسدة ، ولا يتعلق بها مصلحة لأحد !!

ولذلك الله تعالى كلف الانسان ما ليس فى وسعه فقال تعالى « فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » (فأتوا بسورة مثله) وقال للملائكة « انبئونى بأسماء

---

(١) أخرجت جامعة دمشق هذا الكتاب فى السنوات الاخيرة وهو من ذخائر الفقه الاسلامى المقارن .

هؤلاء ان كنتم صادقين » وكل ذلك تكليف للانسان ما ليس فى وسعه ، وذلك ضرر لا مصلحة فيه(٢) .

وسر هذه القاعدة أن الله تعالى مالك الملك وخالق الخلق ، يتصرف فى عباده كيف يشاء ، ولا كذلك الواحد منا ، فانه اذا أضر بغيره كان متصرفا فى ملك الغير بالضرر ، وذلك ظلم وعدوان .. وذهب المنتمون الى أبى حنيفة رضى الله عنه من علماء الاصول الى أن الاحكام الشرعية صفات للمحال ، والاعيان المنسوبة اليها ، أثبتها الله تعالى ، وشرعها معللة بمصالح العباد لا غير ، كما أن الحسن ، والقبح ، والوجوب ، والحظر ، والندب ، والكراهة ، والاباحة ، من صفات الافعال التى يضاف اليها ، غير أنهم قسموا أحكام الافعال الى : ما يعرف بمجرد العقل والى ما يعرف بأدلة الشرع على ما سيأتى :

أما أحكام الاعيان فقد اتفقوا على أنها كلها تعرف بأدلة شرعية ، ولا تعرف بمجرد العقل ، وأنها كلها تثبت باثبات الله تعالى .

واحتجوا فى ذلك بقياس الشاهد على الغائب ، بناء على قاعدة التحسين والتقبيح ، وزعموا أن شرع الحكم لا لمصلحة عبث وسفه ، والعبث قبيح عقلا ، وهو كاقدام الرجل اللبيب على كيل الماء من بحر الى بحر ، فانه يقبح منه ذلك ويستحق الذم عليه .

واذا تمهدت هذه القاعدة فنقول : الشافعى رضى الله عنه حيث رأى أن التعبد فى الاحكام هو الاصل غلب احتمال التعبد ، وبنى مسائله فى الفروع عليه .

وأبو حنيفة رضى الله عنه حيث رأى أن التعليل هو الاصل بنى مسائله فى الفروع عليه ، فتفرع عن الاصلين المذكورين مسائل .. الخ .

ولست هنا بصدد ترجيح مذهب الاحناف ، وتضعيف رأى الجمهور ، فالامر عندى أعمق من ذلك ..

ان المسلمين كافة يعلمون أن الله هو القاهر فوق عباده ، وأنه ليس لبشر ما أن يقف أمامه الا عانى الوجه مكسور الشوكة ..

وان ارادته نافذة فى أرجاء الملكوت لا يعترضها انس ولا جن (الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) .

لكن الله — وله المجد الذى لا يبلى — خلق السماوات والارض بالحق لا بالباطل ، وسير الكائنات فى البر والبحر والجو بالحكمة لا بالفوضى ، ودبر الامور من الازل الى الابد وفق نظام دقيق ، لا خبط عشواء ولا تقدير مجازف **(وكل صغير وكبير مستطر)** .

فكيف يتصور فى شرائعه أن تتجنب المصلحة أو تنطوى على مفسدة ؟

انه حقا لا يسأل عما يفعل ، ولكن لماذا نتصور أن من ذاته فوق المسئولية يجوز أن يصدر عنه ما لا ينبغى ؟ بحجة أنه مالك الملك ؟

---

(٢) سترى خطأ ذلك القول فضلا عما فيه من مغالطة .

الاولى من ذلك ، والادنى الى الصواب ، أن تعرف حدود الدائرة التى يستطيع فيها العقل البشرى الادراك الصحيح والحكم السديد . .

ان الانسان الفرد يتفاوت حكمه فى مرحلتين من عمره على شىء واحد ، وربما استقبح وهو شيخ ما كان يستحسنه وهو شاب .

وربما نسج القصور غشاوة كثيفة او خفيفة على ابصارنا فظننا نفعا لنا ما هو ضار بنا ((**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) .

فاذا توهمنا عوجا ما فى مظاهر الخلق ، او جورا ما فى أحوال الناس ، فلنتهم أفكارنا نحن ولنعترف بقلة علمنا بدل أن نقول (لا يسأل عما يفعل) .

وأعتى علماء المادة يعترف بأن ما نجهل اضعاف اضعاف ما نعلم ، وأن حصيلة الذكاء البشرى طوال القرون تشبه عودا من الثقاب أوقد فى ظلمات ليل ضرير الآفاق ، انه ما يرى فى هذا الكون الكبير الا النزر اليسير . .

وقد شاء رب العالمين ان يزود الانسان بالعقل ليستبين به فى نطاق محدود الخير من الشر والخطأ من الصواب ، كما زود العين بالقدرة على الرؤية فى نطاق أبعاد معينة . . وربما اصيبت العين بعاهة عارضة تمنعها من النظر البعيد أو القريب ، بيد أن ذلك لا يعنى أن طبيعة العين العجز عن الرؤية . .

وكذلك لا نسلم لأحد القول بأن العقل عاجز بطبيعته عن ادراك الحسن والقبح فى الاشخاص والاشياء ، ولا نسلم ابدا بأن الكذب والصدق ، والعدل والجور معان متساوية القيمة أصلا حتى تنزل الوحى الاعلى فحسن هذه وقبح تلك .

والذى نراه أن جمهور المسلمين وفى مقدمتهم الامام الشافعى رضى الله عنه يقصدون بكلامهم فى التحسين والتقبيح رفض تحكيم الفلسفة العقلية فى سير الانسان ومصيره ، وحاضره ومستقبله ، وشئون حياته كلها ما دق منها وما جل . .

وهذا مذهب خطير بلا ريب ، بل هو تجاهل لرسالات الله كلها . واستعلاء على ما جاء بها . وقبول ما يعجب ورد ما لا يعجب .

ومن فجر الخليقة حاول الانسان أن يعتمد على نفسه فى الفعل والترك والقبول والرفض ، وفى عصرنا هذا أعطى الانسان نفسه حرية مطلقة فى التشريع الخاص والعام ، وتصرف فى شتى التقاليد بالمحو والاثبات . . وجعل حقه فى التحسين والتقبيح فوق ما قرع آذانه ليلا ونهارا من آيات الله والحكمة . .

وما يختلف مسلم ومسلم فى أن ذلك المسلك مردود جملة وتفصيلا .

واذا كانت هناك الآن مقررات فى علوم الاجتماع والاقتصاد ، او فى ميادين السياسة والقانون تختلف مع نصوص الدين وقواعده العامة فهى فى نظر فقهاء المسلمين قاطبة منكورة مبعدة . .

فان اوامر الله ونواهيه هى المصدر الاعلى ، أو قل هى المصدر الاوحد لما يحظر أو يباح ، وقد عاد الزنجانى فى كتـابه القيم (تخريج الفروع على الاصول) الى هذا الموضوع مرة أخرى فقال : « ذهب جماهير العلماء الى أن التحسين والتقبيح راجعان الى الامر والنهى ، فلا يقبح شىء لعينه . ولا يحسن شىء لعينه ، بل المعنى بكونه قبيحا محرما ، انه متعلق النهى ، والمعنى بكونه حسنا واجبا أنه متعلق الامر . واحتجوا فى ذلك بأن ايجاب العقل شيئا من ذلك لا يخلو : اما أن يكون ضروريا ، أو نظريا .

والاول محال ، فان الضروريات لا تنازع فيها ، كيف ونحن جم غفير وعدد كثير لا نجد انفسنا مضطرين الى معرفة حسن هذه الافعال ولا قبح نقائضها .
والثانى أيضا محال لافضائه الى التسلسل .

وذهب المنتمون الى أبى حنيفة رضى الله عنه من علماء الاصول الى أن الافعال تقسم الى ثلاثة أقسام :

فمنها : ما يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه بديهة ، كحسن الصدق الذى لا ضرر فيه وقبح الكذب الذى لا نفع فيه .

ومعنى استقلال العقل بدرك ذلك عنـدهم : انه لا يتوقف على أخبار مخبر .

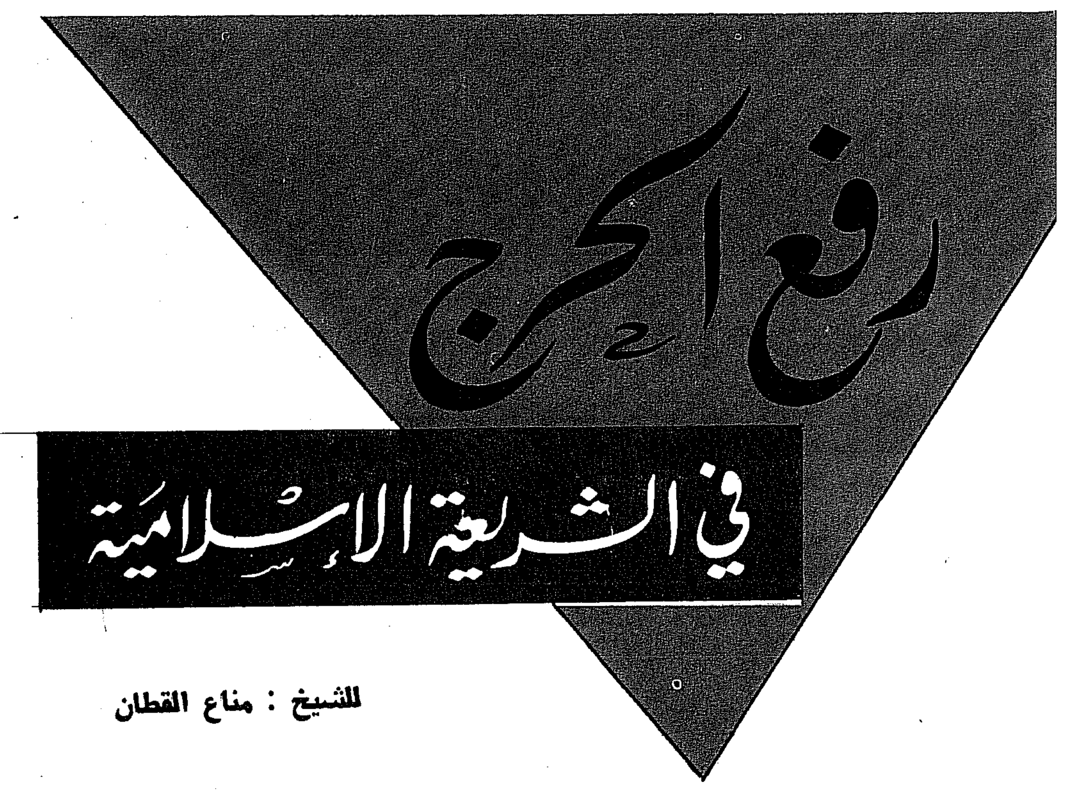
ومنها : ما يدرك حسنه وقبحه بنظر العقل كحسن الصدق المشتمل (على الضرر) وقبح الكذب المشتمل على النفع .

ومنها : ما لا يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه أصلا ، دون تنبيه الشرع عليه كحسن الصلاة والصوم والحج والزكاة ، وقبح تناول الخمر والخنزير ولحوم الحمر الاهلية ، وزعموا أن أمر الشرع فى هذا القسم ونهيه ، كاشف عن وجه حسن هذه الافعال وقبحها ، لعلمه بأن امتثال أمره فيها يدعو الى المستحسنات العقلية ، وكذلك الترك فى نقيضها من المناهى واحتجوا على كون العقـل مدركا لمعرفة الحسن والقبح : بأن البراهمـة يقبحون ويحسنون مع انكارهم الشرائع وجحدهم النبوات .

وقد رفض الزنجـانى مذهب الاحناف الذى صوره فى ايجـاز ، وآثر عليه غيره .

والذى نعود الى توكيده أن الله جل شـأنه هو الحاكم المقسط . وأنه لا يشرع الا ما فيه صلاح أمرنا فى العاجل والآجل ، وأنه منحنا عقولا تستطيع أن تبصر وجه الحكمة فى أغلب ما شرع ، وأن ما يفوتها عرفانه فلقصورها عن الاحاطة بكل شىء ..

وتلك معان لا يختلف الفقهاء فيها . وما ورد يشعر بخلاف فأساسه الحرج النفسى من مذاهب جائرة عن الطريق الحق أو بتعبير فقهائنا الاقدمين أساسه (سد الذريعة) .



للشيخ : مناع القطان

تمهيـــد :

فى مستهل حديثى عن رفع الحرج فى الشريعة الاسلامية احب ان اشير الى الطابع العام الذى تتميز به هذه الشريعة .

لقد تميز الاسلام بأنه دين الحنيفية السمحة الذى يلائم الفطرة ، ويلبى أشواقها فى جوانب الحياة الانسانية المختلفة دون افراط أو تفريط .

فللانسان أشواقه الروحية المتصلة بتربية العواطف ، وتهذيب الوجدان ، وتنمية مشاعر الخير التى تنطوى عليها النفس البشرية ، حتى يصفو مشربها ، وتزكو سريرتها (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) وسبيل هذه التزكية التى تورث صاحبها الفلاح أن تتجه النفس الى بارئها ، تدين بوحدانيته ، وتخضع حياتها لشريعته . وتنقاد لأوامره ونواهيه فى تذلل وانكسار ، ولا تستطيع النفس أن تصل الى هذا الا اذا تحررت تحررا كاملا من سلطان اهوائها وشهواتها ، واعلنت عبوديتها لله وحده رب العالمين . وهذا هو لب الرسالات السماوية التى حملها رسل الله الى البشرية عبر التاريخ ، اعذارا اليها ، وبها بعث خاتم الانبياء والمرسلين **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)** .

وللانسان مطالبه المادية التى تتصل بكيان حياته ، وتنمية جسمه ، والحفاظ على قواه المنتجة العاملة . حيث أجرى الله سنته فى استقرار الارواح بأجسادها ، وربط معنى الحياة بالصلة الوثيقة القائمة بين هذه وتلك ، وقوام

الحياة المعيشية فى معترك العمل يهدف الى تحقيق مطالب البدن فى الغـذاء والكساء ، والمسكن والمركب ، وسائر ما يستمتع به الانسان مما أحل الله له .

والاسلام يفى بهذه المطالب من وجوهها المشروعة فى الكسب الحلال ، ويثير فى النفس البشرية حوافز العمل الفطرية فى غريزة حب التملك ، ويتولى حراستها من الشطط ، لتنطلق بطاقاتها على هـدى من الله . تكد وتكدح **(فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)** **(ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن ياكل من عمـل يده ، وان نبى الله داود كان ياكل من عمل يده)** ويمتد الامل فى هذا الكسب بما يخلفه الآباء للذرية من ميراث .

وهناك المطالب العقلية التى تتصل بالتفكير الانسانى ، واثارة العقـل البشرى للنظر فى الكون وادراك اسراره ، والاستفادة منه . والسعى نحو تحقيق مستوى فكرى لائق فى حقل المعارف الانسانية على اختلاف أنواعها .

ولطالما كان الرقى العقلى مظهرا للتقدم الحضارى ، وسبيلا الى ارساء دعائم المدنية على نهج سديد فى مراحل التطور البشرى ، وبناء الحضـارات الانسانية فى القديم والحديث .

وقد لفت الله انظار عباده فى القرآن الكريم الى الطريق القويم فى التفكير السليم ، والنظر الصائب ، بما يشحذ الذهن ، ويبعث فيه حرية التفكير ، ولذة التزود بالمعرفة ، وجعل الحواس نوافذ يطل منها الانسان على هذا العالم الفسيح ، ليبصر حقائق الكون ، ويعتبر بما فيه من دلائل قدرة الصانع **(ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)** .

والشريعة الاسلامية بين شرائع الله كلها هى التى تحقق تلك النواحى الشاملة لجوانب الحياة البشرية . فى الاشواق الروحية ، والمطالب المادية ، والرقى العقلى ، فى انسجام متكامل .

فالدعوة الى الايمان بوجود الله ووحدانيته وصفات كمـاله تعتمد على النظر العقلى والتفكير المنطقى **(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون)** ؟.

والدعوة الى العبادة للتهذيب النفسى والتربيـة الروحيـة تأتى مقرونة بالسعى فى الارض ابتغاء للرزق **(يايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله)** .

وطيبات الحياة التى اباحها الله تعالى لاستمتاع الانسان تأتى كذلك مقرونة بالقربة اليه (وفى بضع أحدكم صدقة) (ولست تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت بها حتى اللقمة تضعها فى فى امرأتك) .

والحد الفاصل فى هذه الامور كلها هو الاعتدال الذى تميزت به الامة الوسط **(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق**

قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) .

وبهذا تميز الاسلام بأنه دين الحنيفية السمحة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**بعثت بالحنيفية السمحة**) .

والشريعة الاسلامية هى مجموعة التكاليف التى شرعها الله تعالى وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم لأمته والمراد بالتكليف خطـــاب الشرع بأمر او نهى .

ويشترط فى المكلف أن يكون ممكنا ، لأن حصوله مطلوب الشرع ، وكل ما كان مطلوب الحصول يجب أن يكون متصور الوقوع ، وهذا معنى كونه ممكنا ، لأن المحال لا يتصور وقوعه . وما لا يتصور وقوعه لا يستدعى حصوله . اذ أن استدعاء الحصول لا يكون الا لفائدة . وحصول الفائدة مما لا يتصور وقوعه لا يعقل ، واذا ثبت أن المحال لا يستدعى حصوله فلا يكلف به لعـــدم فائدة التكليف ، وهذه المسألة هى المعروفة بمسألة تكليف ما لا يطاق .

وبهذا ثبت فى الاصول أن شرط التكليف القدرة على المكلف به . كما يدل على هذا نصوص الشريعة التى سنأتى على طرف منها فيما بعد . فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعا .

ولم يخالف فى هذا سوى قلة ممن لا يعتد بهم . واستدلوا على مذهبهم بأدلة تولى علماء الاصول ردها :

ويمكننا أن نوجز ما ذكره الغزالى فى المستصفى من ادلتهم والرد عليها :

استدلوا أولا بقوله تعالى (**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**) والمحـــال لا يسأل دفعه .

وأجيب بأن المراد ما يشق ويثقل علينا ، فان من شق عليه التكليف بأعمال تكاد تفضى الى هلاكه لشدتها يقال فيه حمل ما لا طاقة له به .

واستدلوا ثانيا بأن الله أخبر أن ابا جهل لا يصدق بالرسالة ، وقد كلفه الايمان ، ومعناه أن يصدق محمدا فيما جاء به ، ومما جاء به انه لا يصدقه ، فكأنه أمره أن يصدقه فى الا يصدقه ، وهو محال .

وأجيب بأن ابا جهل أمر بالايمان والتوحيد والرسالة ، والادلة على هذا كثيرة فى شواهد الكون يدركها العقل وقد كان عاقلا ، فكان الامكان حاصلا ، لكن الله تعالى علم انه يترك ما يقدر عليه حسدا وعنادا ، فالعلم يتبع المعلوم ولا يغيره ، فيكون هذا من باب المستحيل لغيره لا لذاته .

واستدلوا ثالثا بمثل قوله تعالى (**كونوا قردة خاسئين**) وقوله (**كونوا حجارة أو حديدا**) .

وأجيب بأن الامر هنا للتعجيز لا للطلب ، أو لاظهار القدرة كقوله تعالى (**كن فيكون**) .

وقد بين الشاطبى بناء على هذا ان ما تعلق به الطلب ظاهرا من الانسان على ثلاثة اقسام :

احدها : ما لم يكن داخلا تحت كسبه قطعا ، وهذا قليل ، كقوله تعالى **(ولا تموتن الا وانتم مسلمون)** وحكمه أن الطلب مصروف الى ما تعلق به ، وهو هنا استمرار الاسلام الى الموت .

والثانى : ما كان داخلا تحت كسبه قطعا ، وذلك جمهور الافعال المكلف بها التى هى داخلة تحت كسبه ، والطلب المتعلق بها على حقيقته فى صحة التكليف بها ، سواء علينا اكانت مطلوبة لنفسها أم لغيرها .

والثالث : ما قد يشتبه أمره كالحب والبغض وما فى معناهما ، فحق الناظر فيها أن ينظر فى حقائقها فحيث ثبتت له من القسمين حكم عليه بحكمه .

ثم اشار الى أن هذه الاوصاف الفطرية فى الانسان يتبعها أفعال اكتسابية فالطلب وارد على تلك الافعال . كقوله صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا) وذلك كالنهى عن النظر الى المراة الاجنبية المثير للشهوة الداعية الى ما لا يحل ، وعين الشهوة لم ينه عنه .

وكذلك النهى عن الغضب ، فان الغضب وان كان امرا فطريا الا أن النهى عنه باعتبار لاحقه ، فانه يثير شهوة الانتقام ، كما يثير النظر شهوة الجنس ، كقوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له أوصنى : **(لا تغضب)** مكررا ذلك .

التكليف بما فيه مشقة :

واذا كان شرط التكليف أن يقع المكلف به تحت مقدور المكلف لاستحالة التكليف بما لا يطاق . فهذا يدل على أن التكاليف الشرعية تقع تحت مقدوره ، ولكنه لا ينفى التكليف بما فيه نوع مشقة ، والتكليف فى مدلوله يدل على هذا ، فانه يقال : تكلف الانسان الشىء اذا فعله مع مشقة تناله فى تعاطيه ، وصارت الكلفة فى التعارف اسما للمشقة . قال الراغب : ولذلك صار التكلف على ضربين : الاول محمود ، وهو ما يتحراه الانسان ليتوصل به الى أن يصير الفعل الذى يتعاطاه سهلا عليه ، ويصير كلفا به . ومحبا له ، وبهذا النظر يستعمل التكليف فى تكلف العبادات . والثانى مذموم . وهو ما يتحراه الانسان مراآة ، واياه عنى بقوله تعالى **(قل ما أسالكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)** .

واذا لم يكن هناك تلازم بين التكليف بالمشاق والتكليف بما لا يطاق ، فقد ثبت فى الشرائع الاولى التكليف بالمشاق ، ولم يثبت فيها التكليف بما لا يطاق .

والمشقة فى اصل اللغة من قولك : شق على الشىء يشق شقا ومشقة : اذا أتعبك ، ومنه قوله تعالى **(لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس)** والشق : هو الاسم من المشقة .

رفع الحرج :

وقد دلت النصوص على أن الله رفع عن الامة الاسلامية التكاليف الشاقة التى فرضت على الامم السابقة **(ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا)** **(ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم)** حيث بنيت الشريعة

الاسلامية على اليسر وعدم الحرج ، وشمل رفع الحرج شعب الحياة الانسانية كلها ، فاننا حين نستعرض النصوص الواردة فى ذلك نجد ان الاسلام :

قد رفع الحرج عن حديث النفس وخواطر القلب .
ورفع الحرج فى الدين عامة وفى العبادات خاصة .
ورفع الحرج فى نواة المجتمع بحياة الاسرة .
ورفع الحرج بأسس الحياة الاجتماعية فى التعامل بين الناس .

١ — رفع الحرج عن حديث النفس وخواطر القلب :

للانسان خواطره النفسية التى تجيش بصدره من حين لآخر ، وهى ظاهرة يلمسها الانسان بين جوانحه ، ويحس نحوها بالبهجة والسرور احيانا ، وبالالم ووخز الضمير أخرى .

ولا شك أن هذه الخواطر النفسية ترتبط ببواعثها فى الخير والشر ، فهناك ما يبعث فى النفس حوافز المعروف ويحركها نحوه ، رغبة فى الخير ، واكتسابا للفضيلة ، وطلبا للأجر ، وهناك ما يبعث فيها دوافع المنكر ، ويغريها بارتكابه ويزين لها ما فيه من شر بالصورة الحسنة الجميلة ، وشهوة المتعة اللذيذة .

واذا كانت الاسباب ترتبط بمسبباتها خيرا وشرا فان النظر العقلى قد يقضى بالحساب على تلك البواعث النفسية التى تختلج فى الصدور . وتعتمل فيها فترة من الزمن حتى تظهر آثارها فى الوجود ، ولئن خفيت هذه البواعث على الناس فان رب الناس أعلم بها (**يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور**) .

والتحكم فى خواطر النفس يبدو امرا بعيد النوال ، وان كان من الممكن أن يتحكم الانسان فى كثير من البواعث المؤدية اليها ، فكان من فضل الله على هذه الامة أن رفع الحرج عنها ، فلم يؤاخذها على خواطر السوء التى تخطر بالنفس وان كان يعلم السر وأخفى .

وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة انه لما نزل قوله تعالى (**لله ما فى السموات وما فى الارض وأن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير**) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جثوا على الركب وقالوا يا رسول الله : كلفنا من الاعمال ما نطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتريدون أن تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ، فلما اقر بها القوم ، وذلت بها السنتهم ، انزل الله فى اثرها (**آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير**) فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**) الى آخر السورة .

وفى رواية لمسلم استجابة الله لدعائهم بزيادة (**ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا**

او اخطانا) قال : قد فعلت : **(ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال :** قد فعلت : **(ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)** . قال : قد فعلت : **(واعف عنا واغفر لنا وارحمنــا أنت مولانا فانصرنا على القوم الـكافرين) قال قد فعلت .**

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوز الله عن أمته فى حديث النفس ما لم يتحول هذا الحديث الى كلام أو عمل : **(ان الله تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل)** .

وزادت منة الله على الامة فى التفرقة بين خواطر الخير وخواطر الشر . فالمرحلة النفسية التى تترجم الى العمل : هى الخاطرة ، والتردد ، والهم أو الارادة . ثم العزم . وحين رفع الله عن امتنا المؤاخذة على خواطر النفس فى هواجس الشر جعل الرجوع عنها حسنة يؤجر عليها العبد ، بينما يثيبه على هذه الخواطر اذا كانت خيرة وان لم تخرج الى حيز العمل ، ولا يجزيه على السيئة الا بمثلها ، ويجزيه على الحسنة أضــعافا مضاعفة **(ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة ، فان هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة)** .

٢ ــ رفع الحرج فى الدين عامة والعبادات خاصة :

تدور كلمة (الدين) حول معان يأخذ بعضها بحجز بعض ، فانه يقال : دانه دينا اذا ملكه وحكمه وساسه وحاسبه وجازاه وفى الحديث **(الكيس من دان نفسه)** اى حكمها وضبطها ، والديان : الحكم القاضى .

ويقال : دان له : اى أطاعه وخضع له ، فالدين : هو الخضوع والطاعة والعبادة . وهذا معنى ملازم للأول ومطاوع لها ، يقال : دانه فدان له ، اى قهره على الطاعة فخضع وأطاع ، ويتعدى الفعل بالباء فيقال : دان به اى اتخذه دينا ومذهبا ، بمعنى اعتقده وتخلق به ، وهو معنى تابع للأول . لأن العقيدة التى يدان بها تفرض سلطانها على صاحبها لينقاد لها ويلتزم اتباعها .

وأيا كان معنى الكلمة فانها تدور حول لزوم الانقيــاد ، وان كان الدين بالفتح يتضمن الالزام المالى ، ويعرف بعض العلماء الدين بأنه وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات .

وتدل كلمة **(العبادة)** على الخضوع والتذلل والاستكانة ، فالعبودية هى اظهار التذلل . والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقها الا من له غاية الافضال ، وهو الله تعالى ، ولهذا قال : **(ألا تعبدوا الا اياه)** .

واذا كان من مستلزمات الدين والعبادة الخضوع والتذلل والانقياد والطاعة فان هذه المعانى لا تحمل فى مدلولاتها حقيقة القهر والاكراه ، وانما تعنى حقيقة الاستجابة الفطرية المركوزة فى طبيعة المخلوق نحو خالقــه ، باللجوء اليه ، تضرعا وتذللا شعورا بالحاجة ، وتتضح حقيقة هذه الاستجابة فى الانقياد لمــا جاء به رسل الله .

البقية على صفحة ٥٣

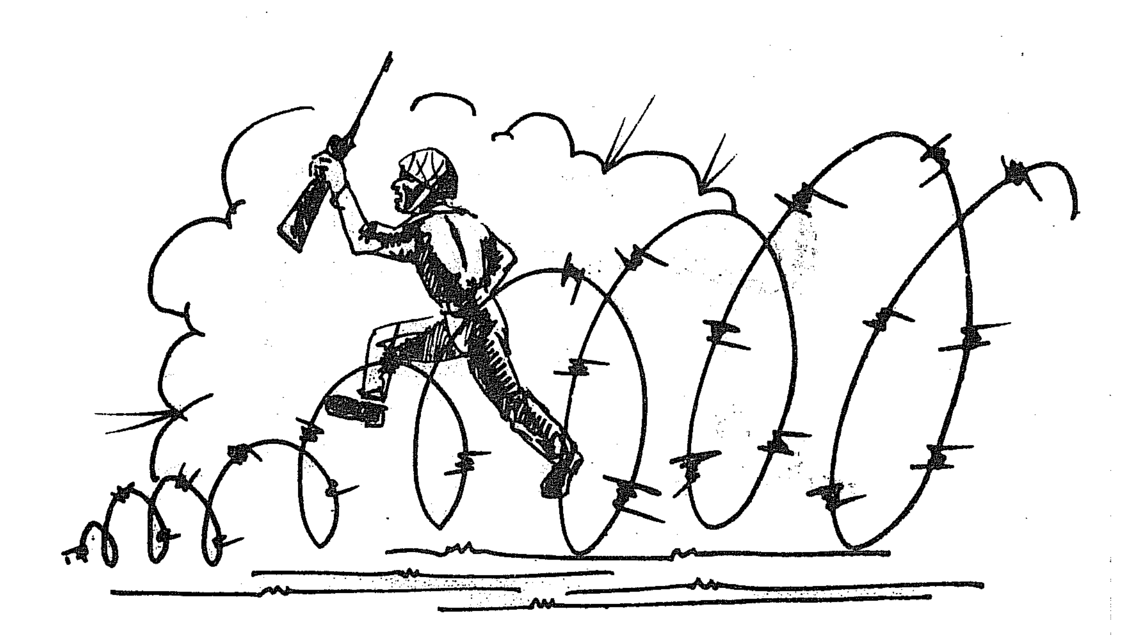
إلى أخي العربي المجاهد

حى يا شعر فى رحاب الندى ... حى خير الرجال فى كل حى
وأنشد فيهم ما شئت من أغنيات ... وقواف مستلهمات الروى
حى منهم قرائحا وقلوبا ... ذاهبات فى الخلق مذهب هدى
حى معنى الاخاء عفا كريما ... فى اهاب من الخلاق الرضى
حى معنى النقاء سمحا مصفى ... كالعبير المجنح الذهبى
حى معنى الوفاء أبيض صفوا ... كالضياء المفضض القمرى
حى معنى الفداء أكرم معنى ... للأخ المسلم الأبر التقى
يهب العمر للجهاد احتسابا ... ونقى فاض عن فؤاد نقى
تلك أسمى رسالة يفتديها ... أهلها بالدم الطهور الزكى
لا يرد الحر المنزه عنها ... كيد باغ ولا ائتمار غوى

.. .. ..

ضل داع الى الهوى وأجير ... يستجيبان للخنا كالبغى
ويسومان فى المغانم سرحا ... حسنا فى العيون مر الجنى
منزل يرتعيه كل جبان ... آسن الروح ذى فعال دنى
ان من راض نفسه للدنايا ... صائر للبوار دانى الهوى
مودعا روحه أكف الخطايا ... بائعا للضمير بيع السبى
عانقت عصبة الشياطين منه ... قلب مغرى بهن غير عصى
والألى آثروا السماء جنود ... يدرأون الشرور عن كل حى
انهم فتية أولو حرمات ... طهرت من قذى وعاب وغى
بذلوا الروح فى الحياة سماحا ... دون من يشوب بذل السخى
يشترون الهدى به غير بخس ... وسواهم فى مستراح زرى

.. .. ..



للشاعر : حسن فتح الباب

وملاك الايمان قلب أبى ... فى معين من الصفاء روى
ومعانى الاثيار أزكى غراسا ... بين جنبى مجاهد أريحى
صهرته الآلام فهو شعاع ... نافذ فى غيابة المطوى
هو كالجوهر الكريم المصفى ... كحسام مهند مضرى
صقلته القيون فهو رهيف ... ذو مضاء على النضال فرى
والحضارات نبت شلو مدمى ... لشهيد ثبت الجنان أبى
ليس يثنيه جائر مستبد ... عن هوى فى الجهاد جلد رضى
يشتفى من غليله وهو صاد ... باللهيب المقدس العلوى
ان هوى فى صراعه فهو حى ... فى ديار الخلود أكرم حى
وعلى ثغره بقايا نشيد ... كنجيع على رداء كمى
أو مثاب على شفاه مول ... أو دموع تفيض عينا نبى

.. .. ..

يا اخى ايها المجاهد قدما ... طبت نفسا بنبتك العربى
أنت حفل من الفضائل زاه ... بالحجا الحق والخلاق السرى
فى رداء من رائعات السجايا ... أنت فيه الثرى أى ثرى
وكفاح على المدى ليس يخبو ... فى طريق الى العلاء سوى
امض فى حومة الفدا غير وان ... امض فيما آثرت خير مضى

مؤتة

البلدة الأردنية

بعد ان يغادر المسافر مدينة الكرك متجها جنوبا الى الطفيلة ومعان ، يمر اولا بقرية صغيرة ، ويرى الى الشرق منها آثار بناء كبير ، تهدمت جدرانه بمرور الزمن . أما القرية فهي « مؤتة » وأما البناء المتهدم القديم فهو « المشهد » .. ولا يلبث المسافر بعد أن يغادر « مؤتة » حتى يمر ببلدة « المزار » فيرى جامعا مهيبا تعلوه مئذنتان مرتفعتان ، ويرى قبتين أخريين في أطراف البلدة . هذا الجامع ، وهاتان القبتان مظاهر عمرانية تشهدها العين ، ولكن تكمن فيها للقلب والنفس ذكريات عزيزة غالية تتمثل فيها معاني البطولة والتضحية والفداء ، ذكريات تعبق بها التربة المعطرة بدماء الشهداء بين مؤتة والمزار .

اشتهرت مؤتة بمعركتها التاريخية . فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام في أوائل السنة الثامنة للهجرة قد أرسل الحارث بن عمير الأزدي ومعه رسالة الى أمير بصرى الشام ، فقتله شرحبيل بن عمرو الغساني سيد مؤتة وهو في الطريق . ثم أرسل النبي بعد ذلك سرية الى (ذات اطلاح) برئاسة عمرو بن كعب الغفاري وعدد رجالها خمسة عشر رجلا . وفي هذا المكان الذي يقع بين الكرك والطفيلة دعا رجال السرية أهله الى الاسلام ، فأبوا أن يجيبوا ، بل قتلوا أصحاب عمرو جميعا ، ونجا هو متحاملا على نفسه حتى بلغ المدينة .

ويذكر الطبري أن سكان ذات اطلاح هم قبيلة من (قضاعة) ورئيسهم يدعى سدوس ، وأشفق عليه السلام من عقبى السكوت على كلتا الفعلتين ، خاصة بعد أن بلغته أنباء عن استعدادات الروم العسكرية في الكرك مع حلفائهم من قبائل العرب (بهراء ، وقضاعة ، ولخم وجذام ، وبلي ، وأهل البلقاء) ..

كل هذه الأسباب حملت النبي عليه الصلاة والسلام على تجريد حملة غايتها الثأر للقتلى ، وتأديب المعتدين ، واختبار قوة الأعداء ، ومدى استعدادهم ، والتعرف على أسباب تجمعهم على أطراف الأردن المتاخمة للحجاز ..

وفي شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة (ايلول ٦٢٩ م) جرد الرسول الكريم جيشا لا يزيد عدد رجاله عن ثلاثة آلاف ، وأمر عليهم زيد بن حارثة . وقال : « ان أصيب زيد بن حارثة ، فجعفر بن أبي طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس . فان أصيب ، فليرتض

الأستاذ : لطفي ملحس
الكلية العلمية الاسلامية — عمان

الشهيرة بمعركتها التاريخية »

المسلمون برجل من بينهم يجعلونه اميرا عليهم » وامرهم عليه السلام ان يذهبوا الى حيث قتل الحارث بن عمير الازدي ، فيدعوا القوم الى الاسلام ، فان اجابوا والا فالقتال .

واوصاهم : « الا تغــــدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ، ولا كبيرا ، ولا فانيا ، ولا منعزلا بصومعة ، ولا تقربوا نخلا ، ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بيتا » وقال لزيد « أوصيك بتقوى الله ، وبمن معك من المســـلمين خيرا . اغز باسم الله من كفر بالله » .

تجهز رجال هذه الحملة الصغيرة التي يمكن ان نسميها « حملة تأديبية وبعثة استطلاع » ، وساروا من المدينة المنورة الى الجوف « دومة الجندل » ، ومنها شمالا حتى نزلوا معان ، واقاموا بها يومين ، وبلغتهم عند وصولهم الى معان انباء مفادها ان الروم قد استعدوا للقائهم في ارض مؤاب « الكرك » ، وان قوتهم تبلغ مئة الف من الروم ، ومئة الف من القبائل العربية التي تقيم في الاردن والمتحالفة مع الروم .

واقام المسلمون يومين يتربصون ، وينظرون في امرهم ويتشاورون بعد ما سمعوا من الانباء المبالغ فيها عن حشود الروم الهائلة ، فقال بعضهم : نكتب الى رسول الله ، ونخبره بعدد عدونا ، فاما ان يرســـل الينا مددا ، واما ان يامرنا بأمره ، فنمضي له ، ولـكن عبد الله بن رواحة انتهر المترددين والمتخاذلين وقال لهم : **« يا قوم ! والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : الشـــهادة ، وما نقاتل النـــاس بعدد ، ولا قوة ولا كثرة . ما نقاتلهم الا بهـــذا الدين الذي اكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هي احدى الحســـنيين : اما ظهور ، واما شهادة »** . بهذا القول الحازم قضى عبد الله بن رواحة على تردد المترددين .

وكان رضي الله عنه شاعرا ، فقال يصف مسيرهم من معان :

جلبنا الخيـــــل من آجام قرح ... تغر من الحشـــيش لها العكوم
حذوناها من الصـــوان ســـبتا ... أزل كـــأن صـــفحته أديم
اقامت ليلتـــين على معـــــان ... فأعقب بعـــد فترتهـــا جموم
فرحنا والجيـــاد مســـومات ... تنفس في مناخرها الســـموم

مؤتة

فلا وأبى (مآب) لنأتينهـــــــا ولو كانت بهـــــــا عرب وروم

ومضى الجيش من معان الى مؤتة على مسيرة نحو ليلتين ، وهناك لقيتهم جموع هرقل من روم وعرب . وقد عبأ (زيد) جيشه . فجعل على ميمنته رجلا من عذره ، يقال له (قطبة بن قتادة) وجعل على ميسرته رجلا من الأنصار يقال له (عبادة بن مالك) . ثم اقتتل الفريقان على مزرعة فى جوار البلدة . وكان زيد بن حارثة يحمل راية رسول الله فقاتل بها حتى تناوشتـــه رماح الأعداء وسقط شهيدا . فأخذ الراية جعفر بن أبى طالب ، فقاتل بها حتى احاط القوم به وهو يثير من حوله نخوة المسلمين . فانحوا عليه بالضرب الدراك حتى قطعت يمينه التى يحمل بها الراية ، فأخذها بشماله ، فقطعت ، فاحتضنها بعضديه ، ولبث يناضل عنها حتى قتل ، وكان يقاتل وهو يرتجز قائلا :

يا حبذا الجنـــة واقترابهـــا طيبـــة ، وبارد شرابهـــا
والروم روم قـــد دنا عذابهـــا كافرة ، بعيـــدة أنســـابها

على اذ لاقيتها اخرابها ..

وعندما علم النبى بمقتله على هذه الصورة قال : « اثابه الله بجناحين فى الجنة ، يطير بهما حيث شاء » فأصبح يعرف فيما بعد بجعفر الطيار ..

ودعى ابن رواحة الى الرئاسة ، فجاءه ابن عم له ، بقطعة لحم ، وطلب اليه أن يتبلغ بها قائلا : شد بها صلبك فانك لقيت فى أيامك هـــذه ما لقيت ، فأخذها عبد الله من يده وانتهش منها نهشة ، ثم شاهد احتدام المعركة ، فألقى قطعة اللحم وبادر للقتال . ومن هنا نستدل على أن المســـلمين فوجئوا بهجوم الروم عليهم وان المعركة استمرت مدة غير قصيرة .

بادر عبد الله بعد قتل صاحبيه الى الجلاد والجهاد وهو يرتجز :

يا نفس الا تقتلـــى تموتى هـــذا حمام الموت قد صـــليت
وما تمنيت ، فقـــد أعطيت ان تفعـــلى فعلهمـــا هديت

وطفق يصول بين الصفوف حتى قتل والمعركة على اشـــدها . وهنا اخذ الراية ثابت بن أرقم من بنى العجلان ، وصـــاح ينادى فى اصحابه : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . فانتخبوه ليكون لهم قائدا ، ولكنه لم يقبل ، وعند ذلك اتفقت الكلمة على خالد بن الوليد . ورأى خالد بثاقب بصره أن لا قبل له بأعدائه مع قلة عدد رجاله ، وكثرة الروم واحلافهم ، ومع بعـــده عن مراكز تموينه ، وامداده ، وقرب أولئك منها . وتجلت عبقرية خالد العسكرية هنا كما تجلت فى المعارك التى خاضها بعد ذلك . وصـــمم على الارتداد المنظم بجيشه حتى لا يتكبد اية خسائر . ورأى أن خير ما يفعل ليضمن ذلك هو أن يوقع فى روع أعدائه انه لا ينوى الارتداد ، بل ينوى الهجوم ، أو يقصـــد الى الحيلة ؛ فثبت فى الميدان حتى المساء ..

والذى يقف فى الأرض التى جرت عليـــــها المعركة يرى ان الأرض غير منبسطة تماما . فهناك توجد هضبة ترتفع بين مؤتة والمزار ، وقد حمل المسلمون شهداءهم معهم من ساحة المعركة عند مؤتة الى ما وراء الهضبة على مســـافة كيلو مترين حيث تقع بلدة المزار اليوم . وهناك دفنوا اولئك الشهداء الأبرار . فوجدوا فى جسم جعفر خمسين جرحا ، وفى جسم عبد الله تسعين جرحا بين طعنة رمح وضربة سيف ، وليس منها واحد فى ظهره .

وأثنـــاء الليل عبأ خالد جيشـــه تعبئة جديدة ، وبدل فى مواقفه ، فنقل الميمنة الى الميسرة ، ونقل الميسرة الى الميمنة . وجعل الســـاقة فى موضع المقدمة ، والمقدمة فى موضع الساقة . ورصد من خلف الجيش طائفة يثيرون الغبار ، ويكثرون الجلبة عند طلوع الصـــــباح . وفى صبيحة اليوم التـــالى اصطف الجيشان قبالة بعضهما ، فرات كل طائفة من طوائف الروم واحلافهم وجوها غير الوجوه التى راتهـــــا بالأمس ، واعلاما غير الأعلام ، واذا بالجلبة المنبعثة من خلف المسلمين توهم القوم ان مددا جديدا اقبل من الحجاز ، وكانوا قد ذاقوا منهم امر المذاق قبل ذلك ، فتوجسوا ، وداخلهم الشك فى قدرتهم على التغلب عليهم . وهكذا نجح خالد فى ايهامه للعدو ، فلم يجرؤوا على الاطباق عليه عندما أخذ يدافعهم ، ويتراجع بجيشه حذرا من أن يكون قد أعد لهم كمينا للايقاع بهم .

ولقد ابلى خالد فى مدافعته للأعداء بلاء لم يبله قط فى غزواته الـــكبرى على كثرتها . فاندقت فى يده تسعة سيوف ، ولم تصبر معه الا صفيحة يمانية ، وكان هذا التراجع البارع ، والبسالة النادرة المســـتميتة ، درءا نافعا للجيش الصغير فى مواجهة الجيش الكبير .. وانسحب جيش خالد عائدا الى المدينة بسرعة مدهشة ، لم تتح للروم واحلافهم وقتا لاعادة النظر فى أمر اللحـــــاق بالمسلمين ، والاستفادة من الفرصة السانحة . وكان ذلك الانســـحاب المنظم نصرا مبينا رائعا فى وجه الظروف العسيرة السائدة حينذاك .

وقد ادرك النبى الكريم حقيقة الموقف ، وقدره أفضل تقدير ، بدليل أنه عند عودة الجيش الى المدينة لقيهم الناس وجعلوا يحثون التراب عليهم ويقولون : يا فرار فى سبيل الله .. فلم يكن من رسول الله الا أن رد أولئك الناس قائلا : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ان شاء الله .

ثم ان الرسول صعد المنبر ، وأمر فنودى : الصــــلاة جامعة . فاجتمع الناس . فخطب فيهم قائلا : باب خير ، باب خير ، باب خير . ثم ذكر استشهاد زيد ، وجعفر ، وعبد الله . وعندما ذكر تأمير خالد نفسه قال : ((اللهم انه سيف من سيوفك فانت تنصره)) . وعرف خالد منذ ذلك اليوم بلقبه الذى أضفاه عليه النبى وهو (سيف الله) .

مؤتة

ونستطيع تقدير النجاح الذى احرزه خالد فى انســـحابه اذا عرفنا أن خسائر الجيش لم تزد على اثني عشر قتيلا منهم القادة الثــلاثة الذين ندبوا للشهادة قبل خروجه .. ولو كان خالد من المتهورين المجازفين لغامر بمواصلة الهجوم فى وجه قوات تفوقه عددا وعدة ، وتحارب فى أرضها وبلادها ، ولمنى بخسائر اكثر فداحة ، وربما احاقت برجاله الهزيمة ، وفى ذلك ما فيه من التأثير على معنويات المترددين من قبائل العرب فى الجزيرة .

وروى أن عشيرة مسيحية تدعى العزيزات التى تقطن الآن فى قضــاء (مادبا) كانت تعيش في مؤتة او في جوارها يومذاك . فلما قدم الجـــيش الاســـلامي خرج أخوان من هـــذه العائلة للقاء الجيش ، وقدما له الطعام والشراب ، ثم اعتنق أحدهما الاســـلام . وقد كان لصنيعهما أحسن الأثر في نفس النبى ، وأمر أن لا يستوفي منهما ولا من أعقابهما جزية أو خراج . وظل امر النبى نافذا مدة الف وثلثمائة سنة الى ان اخذت الحــكومة التركية تحصل الضرائب من أهل الكرك بعد ثورتهم المعروفة عام (١٩١١) ميلادية .

لمحة عن مؤتة وعن اضرحة الصحابة الكرام

تقع مؤتة الى الجنوب من الكرك على بعد احد عشر كيلو مترا . وتبعد المزار عن مؤتة ثلاثة كيلومترات جنوبا . وكلاهما على الطريق المعبـــدة التى تربط عمان بالطفيلة ومعان . ويعمل اهل البلدتين بالزراعة وتربية الماشية ، ويمكن تقدير سكان مؤتة بثلاثة آلاف نفس ، اما المزار فيربو عدد سكانها على أربعة آلاف . والبلدتان انشئتا حديثا على وجه العموم ، فقد كان أهلهما قبائل بدوية تسكن بيوت الشعر ، وتنقل مضاربهما من موضع الى موضع . ولم يبدا العمران على نطاق واسع الا بعد الحرب العـــالمية الاولى . وتقيم فى المزار عشائر الطراونة ، والقطاونه ، والنوايسه ، بينما تقطن فى مؤتة عشــيرة الصرايره . والمزار بلدة عامرة ، وهى مديرية ناحية لما حولها من قرى ، وتتبع محافظة الكرك ، وفيها مجلس بلدى ومخفر للشرطة ، وشـــعبة بريد وعيادة صحية ، وفيها كذلك مستنبت تملكه وزارة الاوقاف . وتعتبر ارض بلدة المزار وقفا كذلك . وفى مؤتة كروم عنب وبركة ماء قديمة تمتلىء بالمياه فى الشـــتاء وتستقى المواشي منها فى أيام الصيف . ولا تجد فى البلدتين ينابيع . لذلك يعتمد الأهلون على آبار جمع المياه .. وفى كل من مؤتة والمزار مدرســـة ثانوية متوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات .

اما المشهد فهو بقايا جامع قديم بنى فوق المكان الذى استشهد فيه اولئك الصحابة . وهو يعتبر مكانا مقدسا ، ويبعد عن مؤتة حوالى ستمائة متر .. ورحم الله حسان بن ثابت الذى قال :

فلا يبعـــدن الله قتلى تتـــابعوا بمؤتة منهم ذو الجنـــاحين جعفر
وزيد ، وعبد الله هم خير عصـــبة تواصـــوا وأســـباب المنية تنظر

ومؤتة بلدة قديمة . وقد وجدت فيها آثار ، وكتابات بيزنطية عرف منها ان اسمها (هاموته HAMOTHA) وهو على الأرجح تحريف لاسمها العربى .. وجاء فى كتب العرب ان مؤتة قرية من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف ، واليها تنسب المشرفية من السيوف روى ابن السكيت قول كثير :

اذا الناس ساموكم من الأمر خطة لها خطمة فيها السمام المثمل
ابى الله للشم الأنوف كانهم صوارم يجلوها بمؤتة صيقل

وفى سنة (١٨٨١) زار مؤتة سائح اجنبى ذكر انه شاهد اثنين من الصوى التى كان الرومانيون ينصبونها على جوانب الطرق لمعرفة المسافات . وقد قرا على احداها باللاتينية : الميل الثالث عشر ، كما شاهد هناك ثلاث شجرات بطم . ووصف المشهد بأنه قبو من الحجارة الضخمة فى فجوة من الأرض وقد كتب على بابه الخارجى : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر جعفر بن ابى طالب) الطيار فى الجنة .. وكتب على الضريح : بسم الله الرحمن الرحيم ، انشأ هذه التربة المباركة العبد الفقير الى رحمة القدير رجاء لرحمة الله ورضوانه مستشفعا عنده بجيرانه « بهادر البدرى الملكى الناصرى » نائب السلطنة المعظمة بالكرك والشوبك المحروستين .. وكان الفراغ منه فى ثانى ذى الحجة سبعة وعشرين وسبعماية .

وكتب على بلاطة رخامية اخرى : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما جدد فى أيام مولانا السلطان الملك الصالح صلاح الدنيا والدين صالح مولانا السلطان الملك الناصر محمد ، وذلك فى نيابة المقر العالى السيفى السر نائب السلطنة الشريفة بالكرك والشوبك المحروستين أعز الله أنصاره .. الفقير الى الله تعالى شمس الدين الهارونى فى سنة اثنين وخمسين وسبعماية .

وهذان التاريخان يعودان الى الفترة التى كانت (شرقى الاردن) خلالها جزءا من دولة المماليك .

هذا ولكى تخلد مدافن اولئك الشهداء فى المزار جدد بناء مقام سيدنا جعفر ، واقيم حوله مسجد واسع ذو قبتين كبيرتين ، ومئذنتين سامقتين ، وذلك خلال الفترة (١٩٣٠ — ١٩٣٤) وبنى كذلك مقام زيد بن حارثة فى الطرف الشرقى للبلدة ، ومقام عبد الله بن رواحه خارج القرية من الشرق . اما ضريح سيدنا جعفر فقد جلل بخلعة من القطيفة الخضراء طرزت عليها هذه العبارة : « ضريح ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم سيدى جعفر الطيار رضى الله عنه » .

وهكذا ، نرى تاريخ بلادنا عابقا بالبطولات ، حافلا بالذكريات ، وكلها تهيب بجيلنا المعاصر أن يقتدى بالسلف الصالح فى اقباله على التضحية ، والايثار ، وتجرده ، ومروءته ، واخلاصه كى يتاح لأمتنا أن تجدد امجادها ، وان تحتل مكانها المرموق بين أمم العالم ..

النفس في القرآن

للأستاذ
محمد شوكت التونى

من دلائل اعجاز القرآن استعمال اللفظ الواحد في مواضع متفرقة من آياته المحكمة بحيث يؤدى استعمالها الى التعبير عن عدة معان مختلفة ، ومثل ذلك لفظ « البر » .

ففي سورة البقرة قال الله تعالى وهو أصدق القائلين . « وليس البر بأن تأتو البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » .

ومعنى البر هنا هو حسن الخلق وجميل الأدب وكمال الاستقامة : استقامة المرء في تصرفاته مع الناس .

وفي سورة آل عمران قال المولى العزيز « لن تنالوا البر حتى تنفقوا

مما تحبون » والمعنى هنا منصرف الى الجزاء الحسن من الله ، وهو الخير أى لن تفوزوا بالخير ورضاء الله وحسن جزائه حتى تنفقوا مما تحبون .

وفى سورة المائدة

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومعنى البر فى هذه الآية العمل الصالح ، وهو ضد الاثم وعكس العدوان. وهذا المعنى يؤكده فى سورة المجادلة قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون » .

وفى سورة الطور نجد البر اسما من اسماء الله الحسنى فهو يقول والعلم علمه والقول قوله . « انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم » .

وقد عبر عن البر بمعنى الطاعة والولاء والمعاملة الطيبة اذ يقول الله جلت قدرته عن يحيى فى سورة مريم « وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا » ويقول عن عيسى « وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » .

وفى سورة الانفطار :

« ان الابرار لفى نعيم. وان الفجار لفى جحيم » وفى سورة المطففين « كلا ان كتاب الابرار لفى عليين » .

والمعنى هنا ان البررة هم الفالحون والعاملون المؤمنون القانتون الصابرون بكل ما يعبر به عن اولياء الله الطائعين المقربين من ملكوت رحمته .

وتأكد هذا المعنى — معنى ان البر هو الايمان الكامل لقوله تعالى فى آية البر من سورة البقرة .

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس . . اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

هذه آيات من آيات الاعجاز ضربنا بها المثل توطئة لبحث النفس فى القرآن وفى سور القرآن وآياته المحكمات آلاف المعجزات التى تحدى بها الله سبحانه وتعالى البشر على ان يأتوا بمثلها فعجزوا منذ « اقرأ » الى اليوم عن ان يأتوا بمثلها لا لفظا ولا تشريعا .

ولقد ورد فى آى الذكر الحكيم لفظ آخر للتعبير به عن معان كثيرة ومختلفة وهى فى ذات الوقت مؤدية الى الغرض موصولة بالفهم ، مقبولة فى السمع .

هذا اللفظ هو « النفس » .

فالنفس تستعمل بمعنى الانسان .

ففى سورة البقره يقول عز وجل :

« واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة » . ويقول « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل » . ويقول « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

وفى سورة آل عمران

« وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » .

وفى سورة المائدة

« انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا » .

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » .

وفى سورة الانعام : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » .

وفى سورة يس « فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون » .

وفى سورة الزمر « ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون » .

وفى سورة ق « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » .

وفى سورة الكهف . « قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا » .

وفى سورة القصص . « قال يا موسى اتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس » . « قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون » .

ولقد تحدث القرآن فى اكثر الآيات عن النفس بمعنى الذات وحتى عبر الله سبحانه وتعالى عن ذاته بعبارة نفسه أى ذاته .

« ويحذركم الله نفسه والى الله المصير » . « ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد » .

« كتب على نفسه الرحمة » الانعام

« سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

هذا قليل من كثير مما ورد فى القرآن من لفظ النفس معبرة عن الذات .

اما النفس بالمعنى العلمى الحديث فيعبر عنها القرآن فى آيات سنوردها فيما يلى مع شرحها ومطابقتها لأحدث المبادىء فى علم النفس . وياليتنا نقلنا عن القرآن فسبقنا علماء هذا العلم بألف ومائتى عام .

ولو ان علماء النفس لم يجدوا تعريفا محددا معبرا للنفس فاكتفوا بالقول « بأن النفس هى شىء داخلى له مظاهر خارجية فهى كالكهرباء ، لا لزوم للتعريف بها ، وانما يكفى التحدث والبحث فى مظاهرها ومصادرها ومواردها لأنها لا تزال حقيقة قائمة ولكنها مجهولة لم يصل العلم اليها ، فهى سر من اسرار الله كالروح تماما . وان كان ذلك ليس مانعا من تعريفها بأنها القوة الطبيعية الكامنة فى الجسد الانسانى ، وانها مكمن الخير والشر والمحركة للجسم البشرى فى نوازعه وتصرفاته . وعلم النفس ذاته يعرف بأنه علم الطبيعة البشرية وسلوكها » .

لقد قال الله تعالى فى كتابه :

« وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » (يوسف) . « الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » (يوسف) . « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » (السجدة) . « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى » (النازعات) . « فان طبن لكم عن شيىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (النساء) . « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » (المائدة) . « واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة » (الاعراف) . « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » (الاحزاب) . « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » (فاطر) . « فطوعت له نفسه قتل أخيه » (المائدة) . « فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم » (يوسف) . « فأوجس فى نفسه خيفة موسى » (طه) . « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه » (ق) . « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب » . (المائدة) . « وكذلك سولت لى نفسى » (طه) . « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون » (الزخرف) . « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » (النجم) . « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم فى أنفسكم » (البقرة) .

هذا قليل من كثير سردناه لتوضح ان القرآن الكريم قد عرف النفس انها هي مستودع المشاعر والوجدانات والشهوات وهي المحرك لتصرفات الانسان للخير وللشر وسنؤكد ذلك فيما يلي من البحث وهو بيت القصيد :

ولقد تعرض سيجموند فرويد العالم المعروف صاحب المذاهب الحديثة في علم النفس والكاشف عن العقل الباطن بشرح النفس ورائد هذا العلم بحق . ولا شك في أن آراء فرويد تعرضت للمجادلة والمناقشة والتسفيه من العلماء الذين لحقوه وخاصة فيما يتعلق بالتحليل النفسي وتأصيل كل نزعات الانسان بغريزة الجنس الا انه لا يزال العلم المنفرد في هذا الباب — وحسبه انه الى الآن المعلم الاول في هذا الحقل وانما يهمنا ان نسرد ما تعرض به فرويد للنفس .

فلقد تسمها اقساما ثلاثة .

١) النفس — وهي باللاتيني « The « pi

وهي مستودع الشهوات وحسب راى فرويد ينبوع النشاط الغريزى وموطن النزعات والميول الفطرية وهي أيضا حسب تعبيره موطن تنازع البقاء بين الغريزة الجنسية وغريزة الموت وهي مدفوعة بمبدأ اللذة

Pleasure, Principle

ولهذا فانها ذاتية لكى تبقى على ذاتها تداب على السعى وراء الارتواء من معين الشهوات . لا تعترف بالآداب العامة ولا القوانين ولا المنطق وهي مهبط الامانى والنزعات والذكريات المكبوتة

٢) وأما الثانية فهى : النفس The « EGO »

وهي عبارة عن تجمع متماسك من الملكات العقلية وهي النفس المهذبة نتيجة التفاعل مع البيئة والحياة الخارجية بماداتها وتقاليدها وقوانينها واديانها وهي أقرب الى العقل والمنطق .

وهي الوسط بين النفس الشهوانية وبين (أنا المثالية) فهي كما يعبر فرويد كالمقيم على الحدود بين الحياة الداخلية للنفس وبين « أنا » العليا المثالية التى هى القسم الثالث من النفس .

٣) « أنا العليا » The super « ego »

أو ما يسميها ايضا بالنفس المثالية The « ego » Ideal

وهي تتكون من عنصرين :

١ — « الأول » الروح العفوية الموروثة عن المدنيات السابقة وتطور التاريخ الانسانى والتى هي وليدة التقاليد الاجتماعية والثمرة الطيبة للآداب العامة والاخلاق والقوانين والمؤثرات الدينية .

٢ — « والثانى » الروح الدنيوية المكتسبة من التربية المنزلية — باعتبار الوالدين هما المثل الأعلى للطفل وكذلك المربين والمعلمين واهل الدين .

وهنا يقول فرويد ما ترجمته :

« وهنا نجد الطبيعة السامية فى الانا المثالية أو الأنا العليا التى تمثل علاقاتنا بوالدينا ففى صغرنا تجلت لنا هذه الصفات السامية فاعجبنا بها حتى اعتنقناها خلقا ومبادىء ومذاهب .

ويقول العلامة « جونس » معترفا بالذات الكاملة وانها يجب أن تدرب منذ الطفولة بالتهذيب بهوادة وسعة صدر ورفق وحكمة تفاديا من اخذها بالقسوة والعنف وما ينتجه ذلك من أخطر النتائج :

ويقرر جونس ان الذات المثالية تكون فى طور الطفولة شديدة الحساسية حتى لقد تكون بعض الهفوات البسيطة فى نظر الطفل جرما « شائنا » فينشأ فى الطفل

الشعور بالاثم الذى قد يشل تفكيره ويعوق عقله .

ويوافق الاستاذ ادار Eder على ذلك الراى ويحدد من الأطفال اصحاب المزاج العصبى ويقرر أن الذات المثالية لدى هؤلاء الأطفال المرهفى الحس أعظم شأنا واشد خطرا .

وننتهى دون الاطالة فى البحث الى ان علماء النفس المحدثين قد قسموا النفس الى ثلاث .

فلنلق البصر فى آى الذكر الحكيم حتى نرى كيف جاء القرآن على محمد قبل نيف والف عام من ظهور هذه التعريفات موضحا تركيب النفس على اساس واضح .

النفس الأمارة بالسوء The Id

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

« وما ابرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » (يوسف) .

ولقد سيق هذا القول الشريف فى موطن الهوى والرغبة والشهوة من قصة يوسف عليه السلام .

وفى سورة طه يقول الله تعالى . « قال فما خطبك يا سامرى . قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى » .

وفى سورة البقرة : « افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم » .

وفى سورة النازعات : « واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى » .

وفى سورة المائدة : « فطوعت له نفسه قتل أخيه .

وفى سورة يوسف « بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل » .

وفى سورة آل عمران « وطائفة قد اهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق » .

وفى سورة الأنفال « ذلك أن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وفى نفس المعنى فى سورة الرعد « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وفى سورة الفرقان « لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا » .

وفى سورة النمل « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » .

هذه الآيات تعبر عن النفس الأمارة بالسوء ، النفس الدنيا التى تحمل الحقد والمتعة والبغضاء وتسر اللؤم والمكر ولا تعرف الله ولا تتقيه .

وهى النفس التى جاء علماء علم النفس بعد نيف والف عام وذكروها وعرفوها واطلقوا عليها اسما وكان الله قد سبق على لسان نبيه الكريم بوصفها وتحديد أبعادها ووضع مكانها فى أجساد عباده .

وفى النفس التى يعبر عنها بالـ Ego وهى التى عرفها العلماء المحدثون بأنها مزج بين العقل والمنطق والصبر والتى وصفوها بأنها المقيمة على حدود النفس الدنيا Id والنفس المثالية Super ego فتلك التى قال عنها الله سبحانه وتعالى :

« لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة » .

فالنفس اللوامة هى الضمير وهى العقل وهى التى تقوم فى الوسط بين النفس الأمارة بالسوء وبين النفس المثالية التى سنورد ذكرها فيما بعد .

وقد أجمع المفسرون على انها النفس التقية التى تلوم النفس الامارة

بالسوء أبدا على ما تصنع وعلى ما فرط منها .

وهى بهذا الوصف المفرد والتعبير الذى لم يتكرر فى آى الذكر الحكيم بحيث ان عبارة النفس اللوامة لم يرد لها ذكر الا فى سورة القيامة .

والله سبحانه وتعالى حين يقسم انما يعظم ما يشرفه بالقسم به وقد شرف الله النفس اللوامة بأن أقسم بهـا .

والنفس اللوامة هى الضمير الوازع وهى العقل الرادع وهى الخير والتقى وفيها خشية الله .

وهاتان النفسان هما مستقران معا فى أعماق الانسان .

وهما اللذان عبر عنهما مؤلف قصة « دكتور جيكل » التى استمد منها كثير من علماء النفس آراءهم . بأن كل انسان خلقت فيه نفسان أو نفس واحدة لها جانبان جانب الخير وجانب الشر . (يراجع رأى الغزالى والفارابى وابن سينا واخوان الصفا فيما سلف) .

وهذا المعنى مأخوذ من قول الله سبحانه وتعالى فى آياته البينات فى سورة الشمس .

« ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » .

فان النفس خلقت تحمل فجورها كما تحمل تقواها .

وهنا القدر الاعظم الذى فى اطاره ترك الله لعباده المشيئة والاختيار فمن شاء ومن استطاع راض نفسه وروضها وزكاها كالنبات حين يزكو بالسقيا والهواء والشمس والعناية والتخصيب والتشذيب .

ومن لم يشأ ذلك فلم يستطع ان يروض نفسه بل أطلق لغوايتها العنان وجعلها كالنبات الوحشى يخرج شطأه على غير هدى وتمتد فروعه فى السماء وجذوره فى الأرض بلا رادع ولا وازع فهو الذى خاب سعيه ، وقبح عمله وساءت خاتمته . وان كثيرين من المفسرين ليقولون بأن تفسير قوله تعالى « قد أفلح من زكاها » من زكاها الله له . وهنا تكون القدرية الكاملة التى لا مشيئة للمخلوق فيها مع أن الله تعالى جعل قدره هو الاطار العالى السامى الذى لا يدرك ولا يرام أما مشيئة المخلوق فهى عمله وحريته واقتحامه فى داخل هذا الاطار فمن اتقى بارادته فله جنة المأوى ومن فجر بارادته فان عليه اثمه ومثواه جهنم .

وفى قوله تعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

وفى قوله الكريم أيضا « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

وفى غير ذلك من الآيات الكريمة ما يدل على أن الانسان له اختيار ولله الأمر أولا — وأخيرا فاختياره هو عمله الذى يرفعه درجات أو يجعله من المبعدين الفاسقين المغضوب عليهم وذلك محدود بما هو مثبت فى أم الكتاب .

ونرى أن المعنى لهذه الآية الكريمة ان الله سبحانه وتعالى خلق النفس وفيها التقوى والفجور كقوله تعالى « وهديناه النجدين » وانه بعد ذلك قد نال الفلاح وكمل له الصلاح صلاح أمره وصلاح دنياه وصلاح دينه من زكى التقوى وجعلها تزكو فى نفسه وتنبعث كالنبات الطيب فيتأصل جزعه ويسمن فرعه .

وقد خاب فى دنياه وأخراه من دسى نفسه وتركها ترعى فى وادى الفجور والشهوات وترضع الشر وتفرز المآثم .

فالنفس لانسانها : له خيرها وما يقويه بها وفيها من عوامل الخير ،

وعليه شرها أن تركها لشهواتها ورغباتها وضعفه أمام لذاتها ومغرياتها .

وهى عملية عبر عنها علم النفس الحديث بالتسامى والتصعيد بالنسبة للتزكية Suiblmation اى أن الشخص الذى يتقى الله ويتفيأ رضاءه ويخشى عزته وجلاله ، ويخاف عقابه ، ويطمع فى حسن جزائه وثوابه ، يجاهد نفسه الأمارة بالسوء جهادا عنيفا فى وقت ما ورقيقا فى حادث ما حتى يستطيع أن يغلبها على شرها ويصرعها فى مواطن سوئها وينهاها عن فساد أمرها فيرتفع بها بال Sublimation من النفس الأمارة بالسوء الى النفس اللوامة .

حتى اذا ما استوى له النصر فى جهاده وهو الجهاد الذى سماه الرسول صلى الله عليه وسلم « بالجهاد الأكبر » لم يقف عند هذا النصر ، فانه لا تزال أمامه درجات ومعارج ومسالك ليرقى بنفسه الى ما هو أعلى وذلك ائتمارا بأمر الله سبحانه وعزت كلماته الذى يقول « قد أفلح من زكاها » وليس لحدود التزكية الا الحدود التى رسمها الله ، وجعلها معالم واضحة لكل ذى بصيرة وعقيدة وايمان ودين وهدى وخوف منه وطمع فى رحمته .

فلا يزال بنفسه اللوامه ego يروضها ويعذبها بالمنع والقهر حتى تصل الى النفس المثالية .

أما النفس المثالية فى القرآن فهى النفس التى صورها الله سبحانه وتعالى وصدقت كلماته التامات فى كتابه العزيز بالصورة الدالة على الرضاء الالهى الأعظم ونهاية المطاف فى معارج السالكين وموضع النصر فى معركة الجهاد الأكبر بقوله تعالى فى خطابه الكريم « يأيتها النفس المطمئنة » .

النفس التى صبر صاحبها وصابر وآمن واستوثق وجاهد واستبسل واتقى وخاف فسلم وظفر ... واطمأنت نفسه الى اداء واجبها كاملا وارضاء ربها بالأخذ بما أمر والانتهاء عما نهى وقام بالفرائض وخاف عقبى الفاسدين ، وتنكب طريق الظالمين ، وافتدى الدنيا بالاخرى ، وزهد فى الغرور . واحتقر الدنيا ، ومد بصره وبصيرته ووجدانه ورغباته الى جنة الخلد ، واطمأن واطمأنت نفسه الى رضاء ربه وهو نهاية النهايات ، وغاية الغايات وجماع اللذات .

وعندما تكون النفس قد ارتفعت الى نفس مطمئنة ووصلت الى هذا المقام الأسمى ناداها ربها . « يأيتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

هنا مقام الأمل ومقام الرضا ومقام الطمأنينة .. الرجوع الى الله والنفس راضية عما قدمت مرضى عنها من الله .

فلتطع أعظم أمر واجمل امر منية النفس فى الدنيا والآخرى وتدخل فى زمرة — الصالحين الأبرار المخلصين وترث الجنة .. ونعم المأوى ونعم المستقر .

اللهم اجعلنا من المجاهدين من أصحاب النفوس المطمئنة الراضية المرضية واجعلنا من الصالحين وتوفنا مع الأبرار .. وورثنا الجنة . يا ارحم الراحمين .

رفــع الحــرج

" بقيــة "

ونحن نطالع آيات القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنرى ما يرفع عن النفس توهمها مشقة الدين والقيام بما تعبدنا الله به .

يوجه الله سبحانه وتعالى نداءه للمؤمنين بالصلاة التى هى عماد الدين ، بالنص على ركنيها الاساسيين فى هيئتها وما يدلان عليه من تذلل وانكسار **(يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا)** ثم يأمرهم بعد ذلك بما هو أشمل من الصلاة ، بالعبادة التى تعنى انقياد العبد لمعبوده فى شئون الحياة كلها على وجه القربة اليه . فان توجه القلب الى الله بالعمل طلبا لمرضاته وفق شريعته يجعل السلوك الانسانى فى شتى مظاهره عبادة **(واعبدوا ربكم)** .

ثم يأتى الامر بما هو خير فى ذاته ، وهذا يشمل ما كان صلة بين العبد وربه ، وما كان صلة بينه وبين اخوانه **(وافعلوا الخير)** ويرتب الله على هذه الاسباب فى الاستقامة وحسن السلوك رجاء الفلاح والظفر **(لعلكم تفلحون)** .

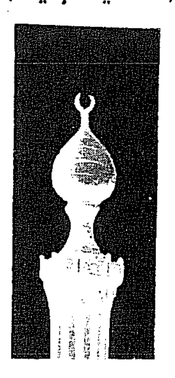
واذا أخذت الامة الاسلامية نفسها بهذه الاستقامة فقد تهيأت للقيام بأعباء الدين والجهاد فى سبيله اعلاء لكلمته وحماية لحوزته ، وتلك هى الامانة الكبيرة والتبعة الضخمة التى اختار الله لها هذه الامة **(وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم)** .

واذا كانت هذه التكاليف شاملة للدين كله ، وختمت بذروة سنامه فى الامر بالجهاد الذى يوحى للنفس ببذل الجهد ، فان الله سبحانه وتعالى يقرن هذا بواسع رحمته . فان الاسلام بتكاليفه وعباداته هو دين الفطرة الذى لا حرج فيه **(وما جعل عليكم فى الدين من حرج)** وأصل الحرج والحراج : مجتمع الشىء ، وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج ، وللاثم حرج .

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سهولة هذا الدين . ويحذر من التعمق فيه ليأخذه المسلم برفق . فان أحدا لا يبالغ فى الاخذ به الا انقطع به السبيل دونه ، ولكنه القصد والاعتدال **(ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا)** .

ويتجاوز هذا التوجيه النبوى الامر والارشاد الى السلوك العملى **(ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما)** .

(للحديث بقية)





حقد قديم جديد :

منذ شهور يلح على قلمي خاطر وتموج النفس بالأسى لما أرقبه من حقائد قديمة لا تزال تسيطر على الرأى العام فى الغرب ضد الاسلام والمسلمين فى اى مكان وفى كل الظروف والأحوال التى تمر بالمسلمين ، والتى تتاح لهؤلاء الحاقدين .. والمسلمون شبه نائمين أو غافلين ولا أقول (مغفلين) يعومون فى بحر راكد من التسامح أو الاهمال وعدم التنبه لما يحيط بهم ويدبر لهم ، خائفين من أن ينتصفوا لأنفسهم أو لدينهم حتى لا يرموا بالتعصب فى الوقت الذى يتصرف فيه الغرب معنا بدافع من تعصبه وحقده علينا ، ويتمثل ذلك فى كل تصرف من تصرفاته فى الماضى البعيد والقريب وفى الحاضر ..

تمثل ذلك فى وثبة فرنسا على الجزائر وتونس والمغرب ، ووثبة ايطاليا على ليبيا واحتلال هذه البلاد الاسلامية فى الوقت الذى وقفت فيه هذه الدول الغربية وغيرها مع دول البلقان التى كانت تابعة للخلافة العثمانية لتسلخها عن الخلافة ، وتحقق لها استقلالها .. ولم تكن البلاد الاسلامية أقل تقدما ورقيا من دول البلقان ، ولكنها العصبية حملت الدول الغربية على احتلال البلاد الاسلامية ، وحملتها فى الوقت نفسه على تخليص بلاد البلقان من الخلافة الاسلامية .. الغرض فى الحالتين واحد ، هو التعصب ضد الاسلام والمسلمين ، ثم رأينا هذه الدول تساعد اليونان بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى لكى تغزو بجيوشها أرض الخلافة العثمانية فى استانبول وأزمير وغيرهما .. حتى هب مصطفى كمال ومعه الجيش والشعب التركى فأوقف المعتدين وردهم .. ثم رأينا ما سموا بالحلفاء يشترطون على مصطفى كمال ومن معه لاجراء صلح أخير ان يلغى الخلافة العثمانية ، ويزيل شبحها من الوجود لا لشىء الا لأنها كانت تمثل فى نظرهم كلمة المسلمين المجتمعة أو دولة الاسلام ..

ثم رأينا صورة من هذا قريبا فى حرب التحرير الجزائرية وما كانت تتعمده البلاغات الرسمية والاخبار الصحفية فى فرنسا وغيرها من ذكر كلمة مسلم أو

يكتبها : عبد المنعم النمر

مسلمين فى كلامهم عن الجزائريين ، لم يكونوا يستحسنون ذكر كلمة جزائرى أو عربى بل كلمة مسلم ، قام المسلمون بكذا .. قتلنا من المسلمين كذا ..

ولم يكن هذا الا عملا مقصودا لعتاة المستعمرين العسكريين من الفرنسيين ارادوا به اثارة العصبية الدفينة فى نفوس الفرنسيين ضد المسلمين .. ليعينوهم على الاستمرار فى حرب الجزائر وكبت أنفاس الجزائريين ..

ولا يمكن ان نخدع أنفسنا فنقول ان موقف الغرب منا فى نزاعنا من اسرائيل وعطفه الدائم عليها انما هو نتيجة الدعاية الاسرائيلية فقط .. لا .. ان هناك عاملا آخر دفينا يسيطر عليه ، وحقدا كمينا يوجهه ويجعله يتناسى كل الحقوق التى لنا ، وينحاز لباطل أعدائنا ..

هذه الروح السوداء فى الغرب اخذت تظهر كذلك الآن فى مجال آخر .. فى نيجيريا التى يكون المسلمون اغلبية حاكمة فيها فكانت وراء قتل الزعيمين المسلمين العظيمين اللذين كانا يديران دفة السياسة فى نيجيريا وهما الشهيدان : أحمدو بيللو رئيس وزراء الشمال ، وابو بكر تيفاوا رئيس الحكومة المركزية فى لاجوس ومن أبناء الشمال . وقفت على كثير من جهودهما وروحهما الطيبة فى سبيل الاسلام والبلاد الاسلامية والقضية الفلسطينية لا من الصحف وحدها ولكن من أحد رجالات نيجيريا الشبان وهو الشيخ أبو بكر جومى قاضى قضاة نيجيريا أو كبير قضاتها حتى أرانى حينما كان فى مصر منذ سنوات برقية وصلته من نيجيريا تزف اليه احصائية بعدد الداخلين فى الاسلام من أبناء نيجيريا فى ثلاثة شهور واذكر أن هذا العدد كان نحو ستين الفا .. وقال ان وراء ذلك كله الزعيم المسلم أحمدو بيللو الذى يراس جمعية أنصار الاسلام التى تقوم بهذه الجهود بتشجيعه ورعايته .. وعرفت منه أن هذا الزعيم المسلم وقف أمام كل التيارات والاغراءات الاسرائيلية بدافع من اسلامه وحبه للبلاد الاسلامية ودفاعه عن القضية الفلسطينية ..

ولم يكن ذلك كله بخاف على أصحاب الروح السوداء والأحقاد العمياء فدبروا لهما ما دبروا وذهبا شهيدين ..

ذلك كله واكثر منه أعرفه وانوء بحمله واتابع أحوال نيجيريا بعـــدهما والأغلبية فيها للمسلمين الذين يكثرون فى الشـــمال .. بينما يكثر غيرهم فى الولايات الاخرى التى تكون مع الشمال اتحاد نيجيريا ومنها الولاية الشرقية ، التى انفصلت منذ سنة عن الاتحاد وسمت نفسها (بيافرا) وأعلنت العصـــيان وأشهرت مدافعها فى وجه الاتحاد الذى رجع الحكم فيه للمسلمين بعد فترة من استشهاد الزعيمين أحمدو بيللو وابو بكر تيفاوا ..

واصبح الاقليم الشرقى المنفصل يمثل تمردا على الاتحاد وبالتـــالى على الزعماء المسلمين الذين يديرون دفته ..

وهنا تبرز الروح السوداء والأحقاد العمياء لتفعل فعلها فى كسر شوكة الحكم الاتحادى الذى تمثله الزعامة الاسلامية ..

وقد أردت قبل الآن أن ألفت الأنظار الى هذا وكتبت كلمة عن الدول التى بادرت بالاعتراف بالاقليم المنشق .. وما وراء هذا الاعتراف من روح سوداء .. لكنى أجلت ما كتبت وطويته حتى رأيت أخيرا تحقيقا فى مجلة (النهضة) الكويتية لمراسلها فى المانيا .. تحدث فيه عما تكتبه الصحف فى فرنسا والمانيا من تعضيد لحركة الانفصال وتمجيد للانفصاليين وتصوير لهذه الحرب الدائرة الآن بأنها حرب بين المحمديين وبين الرجل الأبيض وأن المحمديين يريدون القضاء على الرجل الأبيض ونفوذه فى نيجيريا وأن مصر تمد المحمديين بالطـــائرات والطيـــارين ليقتلوا الرجل الأبيض ومن يناصره فى بيافرا .. الى غير ذلك مما تعمدت به هذه الصحف اثارة روح عطف قرائها فى فرنسا والمانيا وغيرها على الاقليم المنشق واثارة روح الحقد ضد المسلمين ..

ولعل من آثار ذلك أو من بوادر ما قرأناه عن اعتراف فرنســـا بالاقليم المنشق وعن المساعدات التى تحمل فى طياتها الاسلحة للمنشقين بواســـطة الصليب الاحمر مما حمل القائد الشمالى على التمسك بتفتيش قوافل الصليب الاحمر التى تحمل المساعدات للاقليم المنفصل ..

ورأينا مع ذلك كله اسرائيل تدلى بدلوها وتثأر لنفسها من موقف المسلمين وزعمائهم منها فتؤيد المنشقين وتساعدهم !!

لا أريد بذلك أن اثير من ناحيتنا تعصبا أعمى ولكنى أريد فقط من المسلمين أن يتنبهوا ويعرفوا أنفسهم ، ويعرفوا أعداءهم . ويقفوا الموقف اللائق بوضعهم وبوضع غيرهم لهم .

كم من الصحف والكتاب عندنا ذكروا للزعيمين الشهيدين فضلهما وموقفهما الكريم منا ومن قضيتنا وحدثوا قراءهم عنهما وعن مواقفهما الطيبة ؟

هل رأينا صحفنا تعنى بموقف النيجيريين الذين يدافعون عن اتحـــادهم ويقفون وحدهم أمام الحقد الأسود الذى يهب عليهم من أوربا وغيرها وأذيالها ..

لقد صورت الصحف الغربية الحرب الدائرة الآن فى نيجيريا بأنهـــا حرب بين المحمديين وغيرهم لتكتل القوى ضد المسلمين هناك .. فما هى الصـــحف العربية الاسلامية التى ناصرت قضية الحق والوحدة هناك ؟

ام ان ذلك شيء لا يعنينا ، أم هو الخوف من رمينا من المتعصبين بالتعصب ؟ أم هو (التغفيل) أو شيء آخر لا أسميه أو لا أدريه ؟!!

خيانة للدين والوطن :

ليس هناك ذنب يعادل ذنب ذلك الانسان الذى يتنكر لمصالح بلاده ، ويكفر بنعمتها ، ويعيش فيها بجسمه ، بينما أفكاره وآراؤه تهب عليه من خارجها .. لا تهمه مصالح بلاده بقدر ما تهمه التبعية لمصادر الوحى التى تمده بالآراء والأفكار التى يجب أن يسير عليها فى بلاده .

وفى بلادنا أناس يعيشون على هذه الوتيرة ، ويغرقون فى الذنوب الى أم رأسهم ، لا يستمدون أفكارهم من مصالح بلادهم ، بل يستوردون هذه الأفكار كما تستورد السلع الاستهلاكية ، ويعيشون محسوبين على دينهم ووطنهم ، عملاء للخارج .

ولقد أثار فى نفسى هذا الخاطر واعادنى للكتابة اليه هنا بعد ان نبهت له فى كتابى (الاسلام والشيوعية) و (الاسلام والمبادىء المستوردة) أقول أثار هذا الخاطر فى نفسى ، وحملنى على أن أقدم للقراء الذين يعيشون لدينهم ووطنهم ، خبرا قرأته فى جريدة (الانوار) اللبنانية بتاريخ ١٩٦٨/٨/١٦ نقلا عن جريدة الدستور الأردنية ، لا أرى بدا من وضعه بنصه أمام القارىء فيما يلى :

(نشر فى عمان أمس نبأ أثار ضجة كبيرة فى مختلف الأوساط ، ذكر أن الشاعرين العربيين سميح القاسم ومحمود درويش المقيمين فى اسرائيل ، تزعما وفد اسرائيل الشعبى الى مهرجان الشبيبة الذى اقيم أخيرا فى العاصمة البلغارية فى صوفيا . وذكرت صحيفة الدستور التى نشرت هذا النبأ أن الوفود العربية فى المهرجان استنكرت موقف الشاعرين العربيين ، واثار حمل سميح القاسم لعلم اسرائيل دهشة هذه الوفود التى قرأت له قصائد وطنية انتشرت فى العالم العربى تندد باسرائيل .

وعندما سئل القاسم ـ وهو عضو فى الحزب الشيوعى الاسرائيلى عن هذا التصرف ، أجاب بأن حزبه يؤمن بضرورة بقاء الكيان الاسرائيلى ، ولكنه يشجب فقط العدوان الاخير على البلاد العربية !! وذكر النبأ أن العناصر الشيوعية التى اشتركت فى وفود الدول العربية وقفت موقف التأييد من وجهة نظر القاسم ودرويش .

وكان رأى هؤلاء جميعا أن الحملة العربية يجب أن تتركز على حكام اسرائيل فقط المرتبطين بالراسمالية الدولية وبعجلة الاستعمار الامريكى ، ولكن ليس على الكيان الاسرائيلى ذاته) !! ا هـ .

كلام خطير وان لم يكن عندى جديدا فأنا أعرف أن الشيوعيين لا يرتبطون الا بما تقدمه لهم مصادر وحيهم من الخارج .. وذكرت فى كتابى السابقين موقفا

للشيوعيين فى مصر حين اثير موضوع تقسيم فلسطين فى الأربعينيات لم يلتزموا فيه بالرأى العام العربى . ولكنهم التزموا بموقف الحزب الأم فى ذلك الوقت .

والشاعران اللذان يتردد شعرهما فى البلاد العربية بفضل زملاء لهم فى المذهب انما يلتزمان فى موقفهم هذا بآراء الحزب الشيوعى ليس فى اسرائيل ولكن الحزب الأم ، بدليل واحد مذكور فى هذا النبأ ، هو ان الشيوعيين المشتركين فى وفود الدول العربية وقفت موقف التأييد من وجهة نظر القاسم ودرويش !!

ووجهة الجميع ان اسرائيل يجب أن تحارب لاعتدائها الأخير فقط على البلاد العربية لا لاعتدائها الأصيل على البلاد العربية ، وانتزاعها من ايدى أصحابها ، وطردهم منها حتى صار أكثرهم لاجئين .. هذا الاعتداء لا ترى فيه الاحزاب الشيوعية والشيوعيين فى البلاد العربية ظلما يجب ان يزال .. بل الاعتداء الأخير فقط . اما اسرائيل فيجب أن تبقى . وهم فى هذا يمدونها بتأييدهم ، ويتحمسون لحمل علمها وشعارها ، ولا يرون فى ذلك غضاضة كما فعل الشاعر العربى القاسم ، ولو قيل ان القاسم يعيش فى اسرائيل ، وربما يتلمس احد البلهاء له عذرا . حتى فى حمله العلم ، فما عذر الشيوعيين المشتركين فى وفود الدول العربية وقد اتاحت لهم بلادهم السفر الى هذا المؤتمر وربما على نفقتها — واشتركوا فيه باسمها — ما عذرهم فى موقفهم من تأييد وجهة نظر القاسم ؟ وهل ذهبوا الى هناك ليطعنوا وجهة نظر بلادهم ، وليسخروا من العرب جميعا ، ويستهينوا بحق ابناء فلسطين فى أرضهم ، ويسفهوا آراء بلادهم وآراء حكوماتها فى تمسكها بهذا الحق ؟

ثم ان هناك ناحية أخرى خطيرة كل الخطر فى آراء هؤلاء الشيوعيين وهى كما يقولون : ان الحملة العربية يجب أن تتركز على حكام اسرائيل فقط لأنهم فى نظرهم مرتبطون بالراسمالية الدولية وبعجلة الاستعمار الغربى !!

يعنى لو أن حكام اسرائيل غير مرتبطين بعجلة الراسمالية الدولية الامريكية فلا عداء بيننا وبينها ، ولو أن الحزب الشيوعى فى اسرائيل هو الذى يحكم فلا عداء بيننا وبين اسرائيل ، يعنى أن اسرائيل يجب أن تحارب لأنها ليست مع الشيوعيين العرب ، ولكن الذى يشغلهم فقط ويقض مضاجعهم ارتباط اسرائيل بالاستعمار الغربى الذى يعادى الشيوعية !! ولا حساب عندهم لبلادهم واخوانهم العرب !!

ماذا يعنى كل هذا ؟

انه لا يعنى الا شيئا واحدا هو أن الشيوعيين العرب اكبر خطر على بلادهم ومصالحها ، وانهم يعيشون ويتنعمون بخيرات بلادهم ويتنكرون لها . ويهبون حياتهم وجهودهم لغيرها ..

ومن قبل هذا المؤتمر وبعد نكسة يونيو (حزيران) طلعت علينا مجلة عربية تنطق باسم هؤلاء ، تقول ما قاله هؤلاء الشيوعيون فى هذا المؤتمر .. وتعلن باسم الشيوعية والشيوعيين الذين يصدرونها ويحررونها أنها لا تحارب الشعب الاسرائيلى ولكنها تحارب حكامه لأنهم مرتبطون بعجلة الاستعمار الغربى !!

وكأن الذى حاربنا واستولى على ارضنا هم الحكام لا الشعب الاسرائيلى .. وكأن الشعب هناك شعب صديق لنا وقف معنا ضد حكامه !!

لا ندرى كيف مر هذا الكلام الخطير .. ينفث سمومه فى الفكر العربى والموقف العربى ؟!

الا انها العمالة والخيانة لا للدين فقط ، ولكن للأوطان أيضا ..
وانه لكفر بحق الأوطان بعد الكفر بالأديان ..
فماذا بقى اذن من مقومات الانسان ؟!

نصيحة :

نصيحة اتعبنى حملها شهورا ، وربما سنين .. وأنا أريد أن اكتبها ، وان كنت لم اكتمها فى مجالسى ، وهى لا بد أن تأخذ طريقها الواسع الى النفوس حتى أستريح ، واكون قد اديت الأمانة ..

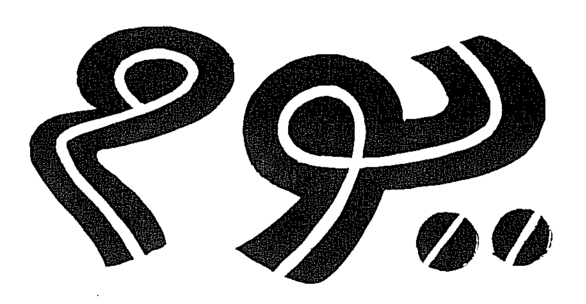
ان كثيرا من الناس — لاسيما الدساسين الذين يصطادون فى الماء العكر واصحاب الهوى كلما سمعوا أو قرءوا دفاعا عن الاسلام ، أو الدعوة لفكرة اسلامية لعالم أو كاتب اسلامى يحلو لهم أن يقولوا عن هذا العالم أو الداعى انه من انصار كذا أو انصار كذا !!

وهذا فوق انه دس رخيص ودنىء ، يمثل حمقا ما بعده حمق .. لأن قولهم هذا يعنى أن الدعوة للاسلام .. والدفاع عنه ، والتحمس له ، وقف على هذا الحزب ، أو هذه الجماعة ، وهذا شرف يضفيه هؤلاء الحمقى على هذا الحزب أو تلك الجماعة دون أن يدعوه ، ودون استحقاق أيضا كأنه لا يوجد أزهر من ألف سنة ، وعلماء منه بالآلاف يحملون رسالة الاسلام ، ويؤدون واجبهم نحوها !! وكأنه لا يوجد أيضا مخلصون للاسلام من غير علماء الأزهر يعملون له ، ويتفانون فى سبيله وهم لا يعرفون هذا أو ذاك !!

ان استمرار هذه النغمة الدنيئة واستغلالها لا يخدم الذين يستغلونها بسفه لأغراضهم الخبيثة بقدر ما ينتج عكس ما يريدون ..

ولا اعتقد أن الذين يستغلونها غير فاهمين لنتيجة ما يقولون ، وانما اعتقد أن منهم أذكياء يريدون بهذا الدس حاجة فى نفوسهم هى أن يسكتوا كل صوت يعمل للاسلام ، ويخرسوا كل لسان ينطق بكلمة الله ، حتى يخلو لهم الجو ليقولوا ما يريدون ، ويعبثوا بالدين والقيم كما يشاءون ، وليس ذلك من المصلحة فى شىء . مصلحة البلاد التى يدعون الغيرة عليها ..

فليراع هؤلاء الدساسون ، وهؤلاء الجهلاء ربهم ان كانوا ممن يؤمنون بلقائه وحسابه . وليقتصدوا فى توريع الاتهامات ، وليفطنوا الى انهم يسيئون الى انفسهم وبلادهم فى الوقت الذى يخدمون فيه غيرهم وليتدبروا جيدا هذه الحكمة المعروفة « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .





جراحك يا أقصى تقرح أجفانى ... وحاضرك العانى يضاعف أشجانى
وان آس فالأحداث تفعل فعلها ... بكل شفيف الحس والنفس انسانى
واعلم أن الدمع مارد فائتا ... وان فاض كالأنهار .. كالعندم القانى(١)
وما تكسر الأصفاد عنك مقالة ... ولن يحطم الأغلال شعر بأوزان
ولا جهد مذياع ولا شدو كوكب ... يرنح أعطافا ، ولا فن فنان
فديتك ما يجدى ويغسل عارنا ... سوى الثأر من عاد يدل بأعوان
ويبغى بحلم الله ، والله قاطع ... وتين الذى يبغى ويملى الى آن
وهذى قبور الظالمين ودورهم ... هواتف فى آذان عالمنا الفانى
فمن يؤثر الحق الصراح يعش به ... عزيزا ، ويشقى من يتيه بسلطان
فلا ترضوا الضيم الذل بنى أبى ... وذودوا عن الأقصى . عن الوطن الحانى
عن العرض فيه يستباح ، عن الهدى ... تغاديه فى المحراب أسراب نسوان(٢)
عراة ، يعانقن الصعاليك جهرة ... وفى الصخرة الشماء فى غير خذلان

وتنهال من معراج طه دروسه ... فتذهب أشجانى ، ويبرأ وجدانى
ويهتف بى الايمان بالله أننا ... سنبطش بالأعداء فى كل ميدان
اذا (الهوك) و (الميراج) شدا وثاقهم ... فانا ننحيها الى المنزل الثانى(٣)
ونزأر قبل السيف بالله وحده ... كمن زاروا فى يوم بدر بايمان
وفى يوم حطين تفرس جنده ... بليل ، صلاح الدين ، فى غير اعلان
فابصر قوما فى الوضوء ، ومعشرا ... يصلى ، ورهطا يجهرون بقرآن
فقال أوتينا النصر بالطهر والتقى ... على طغمة هاجوا حمانا بصلبان

الثأر

الأستاذ : معوض عوض ابراهيم
الاردن ـ العقبة

وكان نهــــــارا نضر الله وجهه ووددت لو اســتفتاه تومى واخوانى
ومن لاذ فى الهيجـــــاء بالله ربه يصب نحر صـــهيون وأحلاف دايان

يسائلنا الاسلام : اين عشـــيرتى ملايين تداحصوا، واين ذووا الشان ؟
وأين بناتى من مثـــال نســيبة وخولة واللائى سبقن باحســـان ؟
وأين من الشـــبان أشـــباه رافع وحب رسول الله . . ياويح شبانى (٤) ؟!
أجاوز ابطـــال الفـــداء فلا أرى سوى معشر فى الشر خروا لأذقان
ليوث الوغى فى حلق صهيون غصة ومن خلفهم ذؤبان فى سمت انسان
يقولون فى الأبطال ما لا تقـــوله أبالسة الدنيـــا ، وافراخ ايبان
بأيدى الفــــدائيين تخفق رايتى على كل شـــبر فى بلادى وأوطانى

اجل : نحن نعطى للفـــداء ودادنا ونجهر فى تأييد أســـلوبه البانى
وترقب يوم الثأر ما فى صـــفوفنا جبـــان ، ولا عين لأعدائه ، وانى

---

(١) العندم : دم الغزال .
(٢) تاتيه فى الغداة .
(٣) سكاى هوك والميراج : طيران العدو .
(٤) حب رسول الله أسامة بن زيد بن حارثة .

نظرة متأنية فى سورة

لم تكن الا آية واحدة تتحدث عن الاسراء من مائة واحدى عشرة آية فى سورة الاسراء ، ثم تناولت الآيات بعد ذلك الحديث مستفيضا عن بنى اسرائيل ، ورسمت النهج لمجتمع نظيف خال من المنكرات التى تفسده ، أو تجعله يعيث فى الارض فسادا ، ووضعت المعراج الروحى الذى على درجاته يتم الصعود الى الكمال الخلقى ، ووجهت القلوب والأنظار الى مصدر الهدى والفلاح فى كل أمر .

الافساد اليهودى :

فقد انتقل الحديث مباشرة بعد آية الاسراء الاولى فى السورة الى الحديث عن بنى اسرائيل وافسادهم **(وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا)** .. وفى هذا استرعاء لانتباه المصلحين ولفت لنظر العاقلين الى مصدر الفساد والعبث فى الأرض مهددا عمرانها مبددا آياتها .

ان آية الاسراء نصت على هدف الاسراء انه كشف آيات الله فى الكون لرسول الله ليعرف كيف يسير على هدى وبصيرة بقافلة المؤمنين واضعا لأسس الخير والحق والحرية والسلام والعدل والاخاء فى الأرض وبانيا بناء الكمال النفسى والعقلى والروحى شامخا سامقا **(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** .

وللحفاظ على تراث البشرية ومقدساتها أن تعدو عليها أيدى الفساد والافساد نبهت الآيات فى الحال الى الخطر الداهم على هذا التراث وهذه المقدسات .

ولكن الآيات التى نبهت الى هذا الخطر الداهم اخطرتنا بأن الافساد مرتان فحسب ، فأى خطورة تزعج فى هذا ما دام الافساد اليهودى لا يتعدى حدوثه فى الأرض مرتين ثم ينتهى الافساد ؟

الا انك لو تمعنت فى الأمر لوجدت أن الافساد الذى يتكرر على هذه الصورة البشعة من الفساد المريض والعلو فى الأرض علوا كبيرا على الرغم من العقوبة الصارمة يوقعها بهم قوم أولو بأس شديد لتبين لك ان هؤلاء ديدنهم الافساد وطبيعتهم

الاسراء

الأستاذ : أحمد حمد

الفســـاد ، ويجب أن يضرب على أيديهم ويحتاط دائما منهم ، اذ كيف يعودون الى الافساد المريض فى الأرض بعد أن ينالوا الجزاء القاسى منـه أول مرة الا اذا كانوا خلقا لا يســـتطيعون العيش الا وهم يستنشقون نسيم الفساد ؟

ويؤكد ذلك أن الله وصفهم بهذا الوصف اللازم لهم : ((**ويسعون فى الأرض فسادا**)) ووقف لهم بالمرصاد لئلا يستطيل هذا الفساد ويستعرض ويستفلظ : ((**كلما أوقدوا نارا للحرب أطفـاها الله**)) ، (**واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم**) .

المجتمع النموذجى :

ثم اتصلت الآيات بعد ذلك ترسم صورة للمجتمع النموذجى الذى لا يهتز بهذا الافساد اليهودى والذى هو أصـل لتطهير الأرض من كل فساد ، فأوضحت أن أساس هذا المجتمع فى استكمال ملامحه ووضوح صورته هو القرآن : ((**ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**)) وركزت فى ضميره النظرة الموصولة بالدار الآخرة ((**وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقـه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**)) ثم اتصلت حتى تكون خلاياه على فضائل الأخلاق والسـلوك بادئة بأصغر خلية فى المجتمع وهى الأسرة ((**وبالوالدين احسـانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كمـا ربيانى صغيرا**)) ثم كان الخطـاب لكل فرد وكل جماعة فى مجال هذا التقـويم النموذجى ، ففى خطاب الأفراد ((**وآت ذا القـربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبـذر تبذيرا .. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط .. ولا تقف ما ليس لك به علم . ولا تمش فى الأرض مرحا**)) وفى خطـاب الجماعة : ((**ولا تقتـلوا أولادكم خشية املاق .. ولا تقربوا الزنا .. ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق .. ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن .. وأوفوا بالعهود .. وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم**)) .

والعقيدة الصحيحة لا بد ان تكون منطلق هذا السلوك وهذه الأخلاق للمجتمع النموذجي ، فعبادة الله وحده هي المنطلق الرشيد لكل خلق حميد وكل رأى سديد ، ولذلك كان التوجيه الى ذلك في ثنايا السورة مبتدأ الفقرات ومختتمها : « **ولا تجعل مع الله الها آخر .. ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة .. قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا .. قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا .. واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس ..** » والتوجيه الى الايمان بالدار الآخرة يقترن بالتوجيه الى توحيد الله ، فان توحيد الله وصل النفس بخالقها ، ووصل النفس بالخالق ربط لها بالأبد فيمتد لها الأمل دون نهاية ، ويتسع لها الأفق دون حدود ، والحياة الدنيا محدودة الأفق قاصرة الأمل قصيرة الغاية قريبة الأجل ، ومن هنا تجد هذا الاقتران واضحا فى بعض آيات السورة « **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا . ولا تجعل مع الله الها آخر** » . « **ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا** » (**سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أنه كان حليما غفورا . واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا**) ، (**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا**) .

الكرامة المشتركة :

وليست هذه الصورة المشرقة للمجتمع الا تكريما للانسان وتفضيلا لانسانيته على كثير من مخلوقات هذا الكون : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » .

فالكرامة شركة بين بنى آدم وهى رحم بينهم جميعا ، فأى انسان مهما كان أمره تطاول على أخيه ليذله أو ليهينه فقد أذل نفسه وأهانها ، لأنه أذل الآدمية فى نفس أخيه وأهان الانسانية فى شخصه اما الذى يتواضع للناس ويحترم آدميتهم ويكرم انسانيتهم ، فهو الذى يرتفع بقدره ويحترم نفسه ويكرم انسانيته ، ولذلك قرر الله هذه السنة الاجتماعية فى كتابه الكريم : « **انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** » « **فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** » وكل منهج تربوى أو تطوير اجتماعى ينحو الى تكريم الانسان ورفع اصر الذلة والمهانة عنه — هو المنهج الأمثل والتطوير المنشود .

اما الاتجاهات الاخرى التى تناقض هذا فهى اتجاهات تحمل فى قلبها جراثيم القضاء عليها ، فالاسرائيليون يعتبرون أن غيرهم من الناس حشرات تداس ، والرأسماليون يعتقدون أن ما عدا

اللون الابيض لا يستحق أن يحيا حياة الكرماء ، والماديون الملحدون يرون أن من لا يدين بمذهبهم لا ينظر اليه نظرة الاعتبار والأمان .

وقد أوضح الله كيفية التكريم الآدمى قبل هذه الآية بآيات قلائل واظهر عدو هذا التكريم حتى يحترس منه كل آدمى ويحتاط : ((**واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ، قال : أأسجد لمن خلقت طينا . قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا . أن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**)) .

وهنا نجد أن الذين يقفون مضادين لتكريم الانسان وقد غرهم دينهم أو لونهم أو مذهبهم هم الذين يستحوذ عليهم الشيطان فيجعلهم من حزبه ، وهؤلاء لن يكسبوا فى دنياهم وأخراهم الا خسرانا الا أن حزب الشيطان هم الخاسرون ، أما الذين يثبتون على مبدأ التكريم ، ويتأبون على استحواذ الشيطان فلا سلطان له عليهم ليهونوا أو يهينوا او يذلوا أو ليذلوا فأولئك حزب الله الا انحزب الله هم المفلحون : ((**ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**)).

المعراج اليومى :

وكيف يكون الثبات على مبدأ التكريم وعدم الخضوع لسلطان الشيطان ؟ أنه بالصلة الدائمة بالله والعروج الدائم اليه بالصلاة ، فبعد آية التكريم نبه الله رسوله الى أن أمر التثبيت بيده ، ولولا ذلك لاستطاع الشيطان وحزبه أن يسيطروا عليه ولو بعض السيطرة ((**وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا**)) وهذا التثبيت يرتبط بالصلة الوثيقة بين العبد وربه والعروج الروحى الدائم اليه بالصلاة فى وضح النهار وفى غسق الليل ، ولذلك امره الله بالصلاة بعد ذلك : ((**أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتهجد به نافلة لك**)) ثم كرر الحديث عن الصلاة فى آخر السورة آمرا بالاعتدال بين الجهر والخفوت ، فعلى مدارجه تعرج الروح يقظة مستغرقة فى دعاء الله ومناجاته واصلة أعصاب النفس وأحاسيسها بجلال الله وعظمته : ((**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**)) .

وان كانت الصلاة قد فرضت ليلة الاسراء عندما عرج الرسول العظيم مجاوزا سدرة المنتهى الى عرش الله الأعلى ، فقد بقيت حتى تقوم الساعة معراج المؤمنين اليومى يعرجون عليه الى الله بأرواحهم ، ويتذكرون عظمة رسولهم ، ليزدادوا علما بأمر الله ويستمدوا العظمة منه ((**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا**)) .

الاقناع العقلى :

وكما بقيت الصلاة وسيلة العروج الروحى الى يوم الساعة فقد بقى

القرآن مصدر الاقناع العقلى كذلك . ففى أوائل السورة يقول تعالى : **« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »** وفى اواخرها يقول : **« وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا »** هؤلاء الذين أوتوا العلم ، أما الذين أوتوا الجهل فهم على العكس منهم : **« واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ، ولوا على أدبارهم نفورا »** .

وهؤلاء الجاهلون أو العالمون بالظواهر والقشور لا يتعلقون من الحياة الا بظواهرها لا بلبها ، ومن الامور الا بهوامشها لا بصلبها : **«يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا»** .

وقد عرضت السورة صورا من تفكيرهم السطحى المضحك الذى يتعلق بالظواهر والقشور فحسب ، بعد أن عرضت عليهم لب الحياة وحقيقتها ، وصلب الأمر واصوله : **« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »** ، **« ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فابى أكثر الناس الا كفورا . وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تاتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه »** .

وكثير من الناس يتجاوز حد الكهولة وهو ما زال يعيش بأفكار الطفولة ، فلا يدرك الا ادراك الأطفال وان رأيته رجلا فى عداد الرجال .

أفلا يرتفع هؤلاء الناس فى مستواهم التفكيرى ويبلغون الرشد فيه ليدركوا هذا القرآن على فقه .
من أراد أن يعرف الحق وأن يعمل بالحق وأن يعيش للحق فليرتفع الى مستوى الرشد فى الادراك ليفقه كتاب الحق : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

ولأن الله الحق هو الذى أنزله فقد ابتدأت السورة بتنزيهه عن كل باطل ونقيصة : **« سبحان الذى أسرى بعبده »** واختتمت بحمده وتكبره لنتوجه اليه دائما بالتسبيح والتحميد والتكبير فى كل أمر **« وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تكبيرا »** .



البلاذري
صاحب كتاب «فتوح البلدان»

للدكتور : أحمد الشرباصي

كتاب « فتوح البلدان » قد يوحى عنوانه بأنه كتاب تاريخ ووصف للفتوح فقط ، ولكن هذا غير الواقع . فان الكتاب ذو صبغة اقتصادية واضحة لما فيه من حديث عن كثير من الجوانب المالية والاقتصادية المتعلقة بالبلاد المفتوحة باسم الاسلام . ولذلك لا يصعب علينا أن نعد مؤلفه البلاذرى من رجال الاقتصاد فى الاسلام الذين اسهموا فى تبيان الجوانب الاقتصادية الاسلامية ، وتعاونوا بنسب مختلفة على صنع هذا التراث الفكرى الاقتصادى العظيم الذى تفخر به المكتبة الاسلامية على مر الأيام .

والبلاذرى هو الامام أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى ، وسمى بالبلاذرى نسبة الى « حب البلاذر » وذلك فى مناسبة نعرفها بعد قليل .

وقد ولد البلاذرى فى أواخر القرن الثانى الهجرى . ونشأ فى بغداد . وتلقى عن كبار علمائها ، وشغل وظيفة بأحد الدواوين لبعض الخلفاء . وكان جد البلاذرى يقوم بوظيفة الكتابة للخصيب امير مصر فى عهده .

وكان للبلاذرى أساتذة وشيوخ منهم عبد الله بن صالح العجلى وابو

الحسن المدائنى ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدى ، وعبد الواحد بن غياث ، وابو الربيع الزهراوى ، وأحمد بن الوليد الأنطاكى ، ومن أهم اساتذة البلاذرى أبو عبيد بن سلام صاحب كتاب « الأموال » ، ومنه استفاد البلاذرى فيما يظن ، دراية ما يتعلق بالنواحى الاقتصادية فى الاسلام ، وما دام البلاذرى تلميذا لأبى عبيد فليس غريبا أن نعد البلاذرى من رجال الاقتصاد فى الاسلام ، وبخاصة أنه قد روى عن أبى عبيد كثيرا فى كتاب « فتوح البلدان » .

واذا كان البلاذرى قد تلقى العلم عن أئمة ملحوظين ، وكان بارعا فى طلب العلم ، فانه بعد أن أتم التعلم كان أستاذا ناجحا ، وقد تخرج عليه طائفة من الأئمة الأعلام ، وحسبنا أن نذكر فى طليعتهم اثنين هما (ابن النديم) صاحب كتاب (الفهرست) الذى يدل على احاطة صاحبه بما فى المكتبة العربية والاسلامية من مؤلفات وآثار فى النواحى الدينية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية وغيرها ، والثانى هو جعفر بن قداحة صاحب كتاب الخراج — ويكفى أن نذكر هذا الكتاب لندرك اتجاه جعفر فى الكتابة عن اقتصاديات الاسلام كما فعل أبو يوسف فى كتابه (الخراج) ويحيى بن آدم فى كتابه « الخراج » .

واذا كان البلاذرى قد استفاد من أستاذه أبى عبيد صاحب كتاب « الأموال » عناية بالأمور الاقتصادية فقد استفاد جعفر بن قدامة مثل هذه العناية من استاذه البلاذرى فيما يظن .

وكذلك كان من تلاميذ البلاذرى الأئمة عبد الله بن أبى سعد الوراق وأحمد بن عمار ويعقوب بن نعيم ووكيع القاضى . وكان البلاذرى يتقن العربية والفارسية ، كما يتقن الترجمة عن الفارسية الى العربية ، ولا يبعد أن يكون البلاذرى قد استفاد من معرفته الفارسية الاطلاع على النظم الدواوينية والاقتصادية عند الفرس ، فوسع ذلك من أفق ثقافته وخبرته ، ويمكن أن يضاف الى هذا اشتغال البلاذرى المبكر بدراسة التاريخ وما يتعلق به ، حيث بدأ بهذه الدراسة منذ صدر شبابه ، وسجل الكثير من الحقائق فى ميدانه . والتاريخ علم واسع يضم بين جناحيه أمورا سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها .

وكان البلاذرى رجلا رحالة ، يكثر من الانتقال والسفر ليبحث ويشاهد ، ويحقق بنفسه حتى تكون المعلومات التى يذكرها مقرونة بالمشاهدة والاطلاع والتمحيص ، ولذلك زار مدن شمال الشام كلها ، كحلب ومنبج وانطاكية . وزار البلاد الواقعة بين النهرين ، وزار الثغور ، وكان يسمع الروايات المختلفة فى البلاد المتعددة ، ويقارن بين بعض الروايات وبعض ، حتى يفحص ويمحص ويخرج بالحقائق الثابتة .

ولقد استطاع البلاذرى بقوة شخصيته أن يقترب من الخليفة العباسى « المتوكل » . وكذلك من الخليفة « المستعين بالله » الذى كان يوسع مكافأته ومعاونته . حيث اعلى شأن البلاذرى ، وعهد اليه بتربية ابنه عبد الله بن المعتز الشاعر العباسى المعروف ، وكان فى سن الخامسة ، فأجاد البلاذرى تربيته وتنشئته .

ومما يدل على مكانة البلاذرى عند الخلفاء وحظوته لديهم ، انه جالس المتوكل فى آخر عهده . وصار من أخصائه المقربين جدا اليه ، واكرمه المعتز بالله . واتصل بالخليفة المأمون ، وقال فيه مدائح . ولكن اكثر هؤلاء الخلفاء تكريما للبلاذرى هو المستعين بالله . فقد جعله يعيش مستغنيا ، ينفق عن

سعة ، ولا يستجدى عطاء من احد ، ولا يضطر الى احتراف حرفة ليأكل منها ، والسبب فى ذلك انه دخل مع الشعراء على « المستعين بالله » فقال الخليفة للشعراء : « من كان منكم قد قال فى مثل قول البحترى فى عمى المتوكل :

ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لسعى اليك المنبر

فليقل ، والا فلا ينشد فى شيئا » .

فاجابوا : ليس فينا من قال فيك مثل هذا .

وانصرفوا ، وبعد أيام عاد البلاذرى الى الخليفة ليقول : يا امير المؤمنين ، قد قلت فيك أحسن مما قال البحترى فى عمك .

فقال الخليفة : ان كان كذلك أسنيت (أى رفعت) جائزتك فهات !

فأنشد البلاذرى قوله للخليفة :

ولو أن برد المصطفى اذ حويته يظن ، لظن البرد انك صاحبه
وقال — وقد أعطيته فلسته نعم هذه أعطافه ومناكبه !

فاعجب الخليفة به ، وارسل اليه سبعة آلاف دينار ، وقال له ، فى رقعة انه فعل ذلك حتى لا يسأل أحدا اذا احتاج ، فان هذه الدنانير تكفيه دون أن يريق ماء وجهه لأحد ، ولم يكتف الخليفة بل تابع له المكافآت والهدايا .

ومما سبق نفهم أن هوى البلاذرى كان مع العباسيين ، ولذلك كان يصف امراءهم بوصف « الخلفاء » بينما هو لا يطلق هذا الوصف على أحد من أمراء الأمويين سوى خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز الذى كان يصفه بوصف « الخليفة » .

ولكن هذا الميل الى العباسيين لم يجعل البلاذرى يحرف الوقائع أو يكتم الحقائق ، ولم يطل المديح فى العباسيين كما فعل غيره ، بل كان أغلب شعر البلاذرى فى الدعابة والهجاء الرقيق ، وان كان أغلب شعره يعد مفقودا ، ويقول عبيد الله بن أحمد بن ابى طاهر عن البلاذرى : « كاتب شاعر راوية أحد البلغاء » .

وذات يوم قال الشاعر محمود الوراق للبلاذرى : قل من الشعر ما يبقى لك ذكره ، ويزول عنك اثمه ، فقال :

استعدى يا نفس للموت ، واسعى لنجاة ، فالحازم المستعد
قد تبينت انه ليس للحى خلود ، ولا من الموت بد
انما انت مستعيرة ما سوف تردين ، والعوارى ترد
انت تسهين ، والحوادث لا تسهو وتلهين والمنايا تجد

وللبلاذرى مؤلفات غير فتوح البلدان منها كتاب « انساب الاشراف » وترجمة عهد أردشير من الفارسية الى العربية وقد ترجمه نظما .

وفى اخريات أيام البلاذرى تناول عن غير قصد كمية من « حب البلاذر » فاثر فى عقله وتفكيره تأثيرا واضحا ، حتى اصابته نوبات جنون ، واضطروا الى تقييده ووضعه فى (البيمارستان) — أى مستشفى الامراض العقلية حتى مات سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) .

يقول عنه المرزبانى : « انه وسوس فى آخر عمره ، لانه شرب البلاذر فافسد عقله ويقول محمد بن اسحاق النديم « انه شرب البلاذر على غير معرفة فلحقه ما لحقه فى البيمارستان حتى مات ، ولذلك قيل له البلاذرى » .

وبيان ذلك ان عارفى فضله حزنوا لما اصابه واطلقوا عليه لقب «البلاذرى» نسبة الى هذا الحب الذى اثر فيه ، وكأنهم يريدون أن يقولوا انه ضحية « حب البلاذر » عليه رحمة الله .

ثم ناتى الى كتاب « فتوح البلدان » ..

نشر هذا الكتاب مرتين فى اوربه قبل أن ينشر فى بلادنا ، ثم قررت شركة طبع الكتب العربية طبعه بمطبعة الموسوعات بالقاهرة ، وأصدرته سنة ١٣١٩ هـ — ١٩٠١ م فيما يقرب من خمسمائة صفحة .

وقد شرع البلاذرى فى تأليف هذا الكتاب سنة ٢٥٥ تقريبا ، ويبدو أنه ألف أولا كتاب « فتوح البلدان » الذى بين أيدينا ثم عاد يحاول توسيعه وتكبيره ، وجمع لذلك مواد كثيرة مفيدة تصلح لكتاب فى أربعين مجلدا ، ولكن المنية أدركته قبل أن يتم تأليف هذا الكتاب الضخم . ولعل هذا هو السبب فى قول ابن النديم ان البلاذرى له كتابان ، كل منهما بعنوان « الفتوحات » أحدهما كبير والآخر مختصر .

وقد تحدث البلاذرى فى كتابه عن « الحمى » فى الاسلام . وهو النظام الذى يحاول بعض الناس أن يقيسوا به « التأميم » فى هذه الأيام ، ثم تحدث عن أموال بنى النضير ، وما فعله الرسول فيها بعد أن تم اجلاء اليهود عقب خيانتهم للمسلمين ، وكذلك أموال بنى قريظة وخيبر وغيرها ، وتحدث عن مكة وحفائرها ودورها وعن البلاد المختلفة ، وحكم أموالها ، والجزية والخراج فيها .

وتحدث عن تعريب الدواوين من الرومية الى العربية ، وهذه الدواوين كانت مهمتها فى الغالب تسجيل الواردات واحصاء النفقات وتقييد أسماء الجنود والموظفين ، وتحديد مرتبات كل منهم ، وكذلك تحديد الحقوق المالية المختلفة لأفراد الأمة ، وعن فتح الشام ومصر والمغرب والعراق وفارس وغيرها ، وعملية مسح الأرض لمعرفة حدودها ، ومقاييسها ، وتقدير ما لها وما عليها ..

وتحدث عن مرتبات المجاهدين والولاة ، وعن نظام العطاء الاقتصادى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ثم تحدث عن أمور كثيرة تتعلق من قرب أو من بعد بالأوضاع الاقتصادية فى المجتمع الاسلامى على هدى الاسلام .

* * *

ومن نماذج ما جاء فى الكتاب ما ذكره البلاذرى عن ناحية اقتصادية هامة تتعلق بالرسل ، وهى مسألة الميراث أو المال الذى يتركه الرسول : لمن يكون ؟ ومن الذى يرثه ؟ فروى البلاذرى عن عروة بن الزبير أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن عثمان بن عفان الى أبى بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك(١) ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ؟

(١) أى عقب وفاة النبى .

أما سمعتن رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقول : « لا نورث ، ما تركنا صدقة ، انما هذا المال لآل محمد : لنائبتهم(١) وضيفهم ، فاذا مت فهو الى والى الأمر بعدى » !

وفى موطن ثان يتحدث البلاذرى عن صنع النقود والقراطيس وعلاقة ذلك بالمجتمع الاسلامى الأول ، فيقول ما نصه : « قالوا : كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتى العرب من قبل الروم الدنانير ، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذى يكتب فى رءوس الطوامير من : قل هو الله أحد وغيرها من ذكر الله . فكتب اليه ملك الروم انكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه ، فان تركتموه والا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه .

قال : فكبر ذلك فى صدر عبد الملك ، فكره أن يدع سنة حسنة سنها ، فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال له : يا أبا هاشم ، احدى بنات طبق(٢) ، واخبره الخبر . فقال : افرخ روعك(٣) يا أمير المؤمنين . حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها ، واضرب للناس سكا ، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا فى الطوامير .

فقال عبد الملك : فرجتها عنى فرج الله عنك . وضرب الدنانير » .

* * *

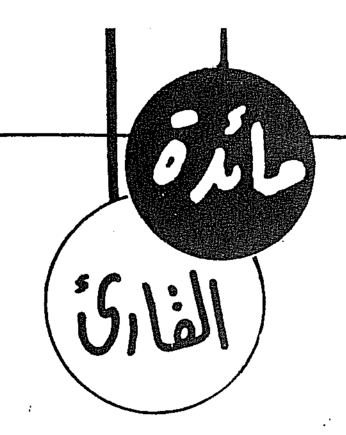
ومن امثلة ما جاء فى الكتاب ما ذكره عن ابى المختار يزيد بن قيس الذى شكا الى عمر بن الخطاب ولاة « الأهواز » وغيرهم لأنهم جمعوا الاموال وكنزوا ، وانتهبوا فيما يرى ، ومن الواجب محاسبتهم ومقاسمتهم ، واخذهم بقاعدة : من اين لك هذا ؟ . . وكانت شكوى أبى المختار هذه شعرا ، وفيها يقول :

ابلغ أمير المؤمنين رسالة ... فانت امين الله فى النهى والامر
فلا تدعن اهل الرساتيق والقرى ... يسيغون دين الله فى الأدم الوفر(٤)
فأرسل الى (الحجاج) فاعرف حسابه ... وارسل الى «جزء» وارسل الى «بشر»
ولا تنسين النافعين كليهما ... ولا « ابن غلاب » من سراة بنى نصر
وما (عاصم) منها بصفر عيابه ... وذاك الذى فى السوق: مولى بنى بدر(٥)
وارسل الى النعمان واعرف حسابه ... وصهر بنى غزوان ، انى لذو خبر
و (شبلا) فسله المال و (ابن محرش) ... فقد كان فى أهل الرساتيق ذا ذكر
فقاسمهم — أهلى فداؤك — انهم ... سيرضون ان قاسمتهم منك بالشطر

البقية على صفحة ٩٨

(١) لضرورات حياتهم .
(٢) أى احدى الدواهى .
(٣) أى سكن جاشك ولا تضطرب .
(٤) الرساتيق : جمع رستق وهو القرية ، الأدم : التمر ، والوفر : الكثير .
(٥) وصفر : بمعنى خالية : والعياب : جمع عية وهى الحقيبة وما يجعل فيه الثياب .

اعدها : ابو نزار



لا يستوون عند الله ..

روى مسلم فى صحيحه عن النعمان بن بشير الخزرجي — وكان اول مولود للأنصار فى الاسلام — انه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل ما ابالى أن اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقى الحاج .

وقال آخر : ما ابالي ان اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام .

وقال على بن ابى طالب : الجهاد فى سبيل الله أفضل مما ذكرتما .

فقال عمر : لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله ، ولكن اذا قضيت الصلاة سالته لكم .

فساله عمر فانزل الله هذه الآية (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ان الله عنده اجر عظيم) .

فريضة الجهاد ..

لما جاء بشير بن الخصاصية السدوسى ليبايع النبى صلى الله عليه وسلم اشترط عليه الشهادتين والصلاة وصيام رمضان والزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله .

فقال بشير : اما اثنتان فلا اطيقهما : الزكاة ، وليس لى الا عشر ذود (نياق) هن رسل اهلى (غذاؤهم) وحمولتهم ، واما الجهاد فتقولون : ان من ولى (فر) فقد باء بغضب من الله ، واخاف ان حضرنى قتال ان اكره الموت .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا صدقة ، ولا جهاد ! فيم تدخل الجنة ؟

فقال بشير : يا رسول الله ابايعك عليهن كلهن .

العاقبة للحق

قد يكون الحق معك .. ولكنك لا تحسن الوصول به ، ولا تجيد الدوران معه حول منعطفات الطريق لتتفادى المآزق ، وتتخطى العقبات ، وتبلغ به ما تريد ..

وقد يكون الباطل مع غيرك .. ولكنه يلبسه ثوب الحق ، ثم يجيد الانطلاق معه حتى يصل به الى حيث ينبغى أن يصل الحق .

ولا اطلب منك أن تجيد الالتواء والانثناء حتى تصل بحقك الى مبتغاك .. ولكن اطلب منك أن تصبر وتثابر وتتشبث بالحق ، وتناضل فى سبيله ، وتؤمن ان العاقبة حتما لهذا الحق .

حفيد خليفة يعظ خليفة ..

كان عبد الله بن عبد العزيز العمرى (حفيد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) يسعى بين الصفا والمروة فى موسم الحج ، وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد يسعى مع الساعين ، فلما رقى درجات الصفا هتف به العمرى :

يا أمير المؤمنين : أنظر بطرفك الى البيت .

ولم يكن يومئذ بين الكعبة والمسعى تلك الجدران التى أقيمت فيما بعد ، فنظر هارون الى البيت وقال : قد فعلت فسأله العمرى : كم من الناس ترى ؟

قال الرشيد : ومن يحصيهم الا الله !

قال العمرى : اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يسأل فى القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك مسئول عن الجميع فانظر كيف تكون .

فبكى هارون ، ثم قال العمرى وأخرى أقولها .

قال : قل يا عم .

قال : والله ان الرجل ليسرف ، فى ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن أسرف فى مال المسلمين !!

الامام الشعبى ..

وجه عبد الملك بن مروان الامام الشعبى الى ملك الروم . اظهارا لفضل الاسلام وعلمائه ، فاعجب به ملك الروم ، واستبقاه مدة ، ولم يكن ذلك لأحد عند ملك الروم قبله ، وذلك انه ما سأله عن شىء الا كان التوفيق حليفه ، ثم ارسل معه رسائل الى عبد الملك ومن بينها رسالة يقول فيها : عجبت لقوم يكون فيهم الشعبى ولا يملكونه وانما اراد ملك الروم بهذه العبارة ان يغرى عبد الملك بقتل الشعبى ، ولما قراها عبد الملك عرضها على الشعبى ، فقال الشعبى على البديهة : انما قال ملك الروم هذا القول لانه لم يرك ، فقال عبد الملك : حسدنى عليك فاراد قتلك .

مرآة تتكلم ..

نظر الوزير ابو بكر بن زهر الى المرآة ، فأنشد يقول :

انى نظرت الى المرآة اذ جليت ... فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا

رأيت فيها شيخا لست أعرفه ... وكنت اعهد فيها قبل ذاك فتى

فقلت أين الذى بالأمس كان هنا ... متى ترحل من هذا المكان متى ؟

فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة ... ان الذى انكرته مقلتاك أتى

كانت سليمى تنادى يا أخى وقد ... صارت سليمى تنادى اليوم يا أبت

من القصص الخالد . .

طريق النصر

للأستاذ : أحمد العناني

طال انتظار الناس للشيخ ولكنه لما يحضر .

الردهة الكبرى في القلعة واسعة الابعاد طولا وعرضا وارتفاعا ، وبريق الاواني المعدنية الصقيلة كأنما يغامر الوشي البديع على الطنافس المبثوثة في كل ناحية ، وكأنما هذا النشـــاط الاخرس هو كل دلائل الحياة في الردهة لولا الانفاس المكتومة من الرهبة والغبط تشيع في الصمت ما يشـــبه الانين الخافت الى حين ، كل شيء تسرى في أعماقه هيبة السلطان المتجهم الصـــامت الا ذلك الاثاث الصقيل الغارة يتغامز بريقه من الزوايا المتقابلة .

وكان رسل الســـلطان من الشام قد انهوا سرد حكايات لهم عما يصيب الناس في كل يوم من أذى المغول وشراهتهم للنهب وسفك الدم ، وهم يودون لو استطاعوا حجب ذلك كله عن سمع السلطان ولكنه كان يســـتزيدهم ويلح عليهم ، ويحرضهم بأسئلته الملاحقة حتى اضطرهم الى سرد احداث تقشعر لها الابدان ، حدثوه عما حصل من بعض فلول جيشه المتراجع عن الشـــام بعد هزيمته في حمص . . لقد اخجلهم تعيير الناس لهم حتى خلع بعضـــهم ملابس الجنود واستعاض منها ملابس أهل الريف وعمال دمشق ، وعما أصاب المدينة



العظيمة من الرعب الرهيب ، فالنساء حاسرات الوجوه حائرات الخطى لا يدرين الى اين يذهبن ، الدموع ملء وجوههن والاطفـال على اذرعهن ، تمتزج دموع بدموع ولا من ناصر ولا معين . .

والسلطان يستمع ولكنه سرعان ما يذهل عمن حوله ، وعما حوله وتعود به الذكرى الى حمص حين حسب انه انتصر على عدوه الهمجي الرهيب . وكان السلطان قليل الخبرة بأولئك البرابرة الماكرين ، وكان شابا سمحا طيب القلب ، شاء ان يوسع على جنوده حين ترامى اليه ان المغـول جادون في الرحيل عن سوريا كلها ، ولكنهم سرعان ما انقضوا عليه حين فرق جنوده في البلدان فاصابوه بهزيمة منكرة ، وكادت نفسه تطاير شعاعا لهول المفاجأة لولا أن امسك رؤساء جنده بروعه ، وربطوا على قلبه ، فتراجع تراجع الهزيمة الرتيبة التي تكاد تشبه الانسحاب ، وعاد ادراجه بقلب دام الى مصر ، ومنذ تلك اللحظة ما عرف النوم الا غرارا وما كف عن اعداد وتدريب ليلا ولا نهارا ، وفي نفسه يغلي ثأر كالبركان وعلى محياه المفجوع طلائع لهب في الصدر من اجل الثأر . . ولم يعد يترك شاردة ولا واردة من حوادث الشام الا اهتم بها ووزنها وقلب النظر فيها . كانما يضغط احقاده في الصدر ضغطا . ويجتر ذكرى الهه اجترارا .



ويهيىء ليوم فاصل تمتحن فيه الآمال ، فاما الى سعادة نصر ، أو سكون قبر .

ولما انتهى الرسل من كل جديد مما سمعوا او علموا عن افاعيل المحتلين ، وعذاب المغلوبين والنازحين ، اشار بيده اليهم ان كفاكم فلا تكرروا ، وتصاعدت منه برغمه تنهيدة شديدة ، وزمت شفتاه على غيظ أطل من حدقتيه احمرارا كالجمر اللاهب وصمت فما ينبس بكلمة فصمت الناس معه ..

وكان قد أثقل على الناس حتى لم يعد فى وسعه أن يزيد ، لقد صهر تواهم وأبناءهم وأقواتهم وماشيتهم فى الاعداد لمعركة الثأر ، ومع ذلك لم يجد انه بلغ الغاية من ذلك فنادى على المحتسب يستشيره فى المزيد من المال والعدد ، فاذا الرجل يقول له « مولاى قد كان قطز احتاج لشىء أهون من حاجتنا فأفتى له العلماء بجمع دينار من كل رجل بالغ ، فاجتمع له مال وفير « قال السلطان ، فكرة جليلة فيها فائدة ، فما بالنا لا نعيدها وحاجتنا لها أعظم مما كانت حاجة قطز » قال « يا مولاى يحتاج الامر الى موافقة قاضى القضاة » قال « فأعد ما يلزم وكلفه بالموافقة وان كنت أرى هذا الرجل عنيدا فيما يراه » قال المحتسب « يا مولاى لن يكون أتقى من ابن عبد السلام وقد اقر قطز على جمع دينار من كل أسرة » قال السلطان « اذا قاضى قضاتنا ابن دقيق العيد مولع بابن عبد السلام ، فان كان ذلك فعل ، فهذا يفعل » .. ولكن الرسل ظلوا يغدون ويروحون الى ابن دقيق العيد ويعودون خالى الوفاض .. وصبر السلطان ثم لم يعجبه الحال ، وجاءه الرسل من سوريا بسوء أحوال الناس فاستشاط غضبا وراح يتوقد كجمر الغضا ، وارسل غاضبا يستدعى قاضى قضاته ويتصور راسه ملقى بين يديه وقد فصله عن الجسد أن تردد صاحبه فى الموافقة .. والسلطان الغاضب صامت كالتمثال ولكنه راض بالانتظار والمجلس من حوله ساكن لولا هينمات خفيفة تخرج على حذر من الجلساء وعلى أستحياء ، ولو تسربت منها همسة واحدة لما خرجت عن استنكار لابن دقيق العيد حتى لقد وصل سمع السلطان قول احدهم « الشيخ اما أنه جن أو التاث عقله فيرد جاره بهمس مريب وعينين جاحظتين » والله ما أخشى الا أن المغول اشتروه بمالهم فيزجره صاحبه هامسا بغضب « ويحك ، أما تستحى من الله .. ما هكذا يقال عن ابن دقيق العيد .. »

ويطرق السلطان الى حين ثم يرفع راسه فما يحسب الجالسون الا أنه سيأمر بعض الجند أن يأتوه به حيا أو ميتا ، لكن السلطان مع ذلك لا يقول شيئا فى كل مرة ، ولكن يغالب زفرة فى لهاته ثم يقلب بصره فى ارجاء الردهة ، ويعاود الاطراق من جديد ، وما يعلم دخيلة صدره الا الله ..

وثارت حركة بطيئة خارج الردهة ، وسمعت خطى وئيدة تتحرك فى وهن على الادراج المغطاة بالسجاد الفاخر فلا يكاد يصافح الاسماع منها الا وسوسة خجلى مترددة حتى ليظن البعض أنه لم يسمع شيئا على الاطلاق ، ولكن نحنحة خفيفة من لهاة رجل لا بد أن يكون شيخا مسنا كابن دقيق العيد قطعت كل شك ، ورفع السلطان رأسه ، وتحركت عن تمتمة خفيفة شفتاه وشاع فى وجهه معلم ارتياح مشوب غير مطمئن ، بينما اعتدل الكثيرون فى المجلس فى أماكنهم وبدا معنى واضح على كل وجه كأنما يصرخ منه صوت يقول « واخيرا اخيرا .. الحمد لله » ..

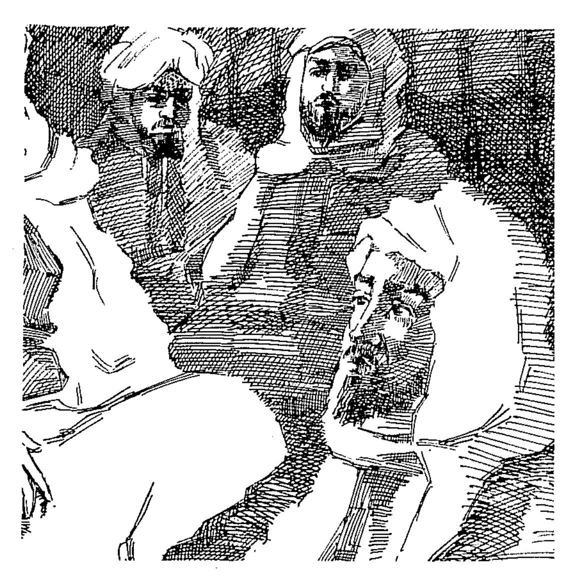
ودخل الشيخ الجليل فكأنما نفضت هيبة وجهه على الردهة اجنحة الف صقر وعقاب تعالى الله الذى يجعل من موات الاشياء أزهى حياة ، ومن الضعف كل الضعف جبروت قوة صاعقة لا تقاوم .. هذا هو قاضى القضاة ابن دقيق العيد ، رجل أبوه من سائر الناس لو ارتحل عن الدنيا ما ترك فيها لوارث نفقة أسبوع .. الجسم منه ناحل والخطو واهن راعش ، فلو تعثر بحصاة أو دافعه طفل فى مزدحم سوق لما ثبتت به على الارض قدماه الرخصتان ، ولا ساقاه الناحلتان .. لكنهما العينان وحاجباهما وما يصدر عنهما من بريق لا يشبه ومض النار ولكنه افعل منها ، والاسارير المستريحة تحت العينين ليس فيها اثارة قلق ولا امارة جزع .. اسارير مستريحة من آثار الترقب والآمال والجزع والاطماع .. أسارير كأنما مسحت عليها الملائكة بعبير الرضا المعطار .. أسارير تخيف قطعا ولكنها هى لا تخاف لو التهبت حول صاحبها الدنيا ما أصابها من الشرر شىء ولا من الدخان ولعلها هى التى تطفىء الجمر واللهب والدخان .. لان فيها واحة أمن ورضا وسلام ..

ونهض السلطان يرد التحية ويغلب الشيخ على يده حتى يدنيه منه الى جانبه ويهيب به أن يجلس والعيون شاخصة والقلوب معلقة بعجلة الدقائق واللحظات تترقب ما يكون من حال .. ويتردد الشيخ ، ويتأبى على الجلوس ، ويغمض عينيه ويتمتم مرفوع الرأس الى السماء ، ويستخرج من جيبه منديلا كبيرا من الكتان ثم يسقطه أسقاطا على ستائر الحرير التى تغطى المرتبة التى تحته ثم يسمى ويجلس على جانب المرتبة جلسة النافر المتأثم .

قال السلطان « يا شيخ ، كفاك ما شققنا عليك بالحضور الى هذا المكان ، الا تعتدل مستريحا ؟ » ..

قال الشيخ « لا يجلس من جسمى شىء الا على قدر ما يتسع له المنديل ، فانى لاوثر لعينى العمى على رؤية الحرير ، فكيف بى أجلس عليه ، أما والله لا





ينال الحرير والذهب فى الدنيا من رجل الا حرما عليه فى الآخرة » .

تململ بعض الجالسين كأنما يهمون برد على كلام يخيل لهم شىء فى صدورهم انهم مطالبون بالثأر ممن يقوله فى مجلس سلطانهم الحبيب المهيب محمد بن قلاوون . ولكن ما حيلتهم والسلطان ما أجاب منه صوت على كلمة الشيخ سوى طرطقة فى لهاة أحست بجفاف مفاجىء وحر شديد فجفت فيها الكلمات .

قال السلطان « لا أشق عليك يا شيخنا .. لقد أحببت أن يكون رايك فى أمر مجاهدة المغول على أعين الناس فلا أحتمل أنا وحدى تبعته ، قال الشيخ « ما ذاك يا محمد بن قلاوون ؟ » .

قال السلطان : « ما جئت بشىء من عندى ، ولا بدعة أدخلها على المسلمين واعوذ بالله من شرور البدع ، وما أريد فى صالح المسلمين أن يضار بعملى المسلمون .. وانى لاعلم أن النصر الذى أقف له عمرى لن يكون بظلم أحد من سائر المسلمين .. ولو اردت شيئا لنفسى لاغضبنى منك ما ترى يا شيخ ، ولكان لى رأى آخر .. ولكنها حرب مع أهماج المغول ندفع بها شرة العار عن محارم الدين ، فهؤلاء رسل الشام يحدثوننا بما يحرم العين منامها عن فظائع المحتلين ، واجرام الطغمة الظالمين .. وتنهد السلطان ، ونظر فى وجه الشيخ وارتعش رعشة خفيفة عالجها بالاطراق وهو يواصل كلامه بصوت خفيض .. قد تعلم يا شيخ ان المحتسب قد أشار علينا بأن نجمع من كل بيت مسلم فى مصر دينارا واحدا وذلك يكفى لأخر ما بقى علينا من الانفاق حتى نعاود الكرة على المغول فاما أن نلقى بهم فى جحيم القصاص الحق الذى استحقوه أو أن ينيلنا ذلك الشهادة فى سبيل الله .،

قال الشيخ « قد قلت للمحتسب أن هذا غير جائز منكم » ..

واحتد ابن قلاوون وبدت على وجهه مخايل ثورة موشكة على التفجر وهو يقول « عجيب والله ما أسمع يا شيخ .. نقول لك ان أستاذك ابن عبد السلام غفر الله له قد أفتى بجمع مثل هذا الدينار فى مثل حالنا هذه فكيف تصر على ألا تجيز ما أجاز الرجل ؟ وكيف فى غير هذا المقام تذكرنا كل حين بابن عبد السلام ، وما أفتى به ابن عبد السلام أخبرنا هل هو عندك الصادق المبرور أم المنافق المغرور أم ماذا ؟ » ..

وتطايرت صيحات المتبرعين بالكلام من كل مكان .. مولانا السلطان ، مولانا السلطان .، انا والله دفعت ذلك الدينار .. مولانا السلطان دع عنك الشيخ فانه لا يغير كلاما قاله .. اما والله قد تطاول عليكم العلماء ، وقد .. »

وصرخ السلطان وكأنما يسمع استغاثة مسلمة من كيد المغول فما يطيق ان يحبس هتافا من التلبية من صميم الاعماق « كفى يا رجال » من اراد أن يخرج من هنا بسلامة فليمسك بلسانه . حذار فأنا لم أندب أحدا منكم للكلام .. وخفتت الاصوات وبسط الصمت رواقه من جديد ، والتقت عينا الشيخ بعينى السلطان وتكلم الشيخ اولا .. « وأنا ايضا أذكر فتوى ابن عبد السلام غفر الله له .. انه لم يصدرها الا بعد أن أحضر سائر الامراء ما عندهم من ذهب وفضة وحلى ، والا بعد أن حلف كل منهم له أنه لا يملك سوى ذلك القدر الذى أحضره ولكن ذلك لم يكف فأفتى ابن عبد السلام بما تقولون ، وانه لم يفت بشىء قبل ذلك . وسكت الشيخ .. وساد هذه المرة سكون طويل .

رفع محمد بن قلاوون رأسه فاذا عيناه تغرورقان بدموع غزار ، وكان صوته عميقا مؤثرا وهو يقول « أما أنا فأشهد أن هذا الكلام حق .. وسوف أبدأ بنفسى وبهذا الاثاث الذى ترون » .

وساد صمت قصير ولكنه مفعم فى أعماق الحاضرين بحركة صاخبة وارتفع اول صوت وانا يا مولاى السلطان ، الآن اعود لك بكل ذهبى وفضتى ولا والله لا أدع فى دارى ملعقة عليها وشى فضة الا جئت بذلك لك .

ثم تكاثرت الاصوات حتى بلغت كامل الاجماع ..

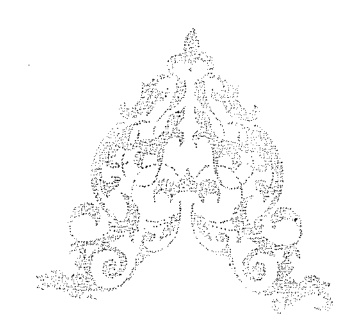
ثم ساد الصمت حين نهض الشيخ يقول « كفانى من خائنة الاعين فى رؤية الحرير . ولكنى قرير العين والحمد لله .. اعاننى ربى على الحق فقلته ولكنى أسجد الآن شاكرا ربى أن هون الحق الثقيل على صدر السلطان .

سجد الشيخ وأطال فى سجدته ، وحين خرج منها كانت دمعتان كلؤلؤتين تملآن محجريه ليس عنده من الجواهر واشباهها سواهما ، فبذلهما وهو يتمتم « الحمد لله .. الآن طريق النصر مكشوفة ، أنت يا ابن قلاوون منتصر ان شاء الله » ..

ولقد انتصر ابن قلاوون نصره الحاسم الذى أزرى بالاساطير وصفى الى الابد أسطورة مناعة المغول .

وعاد الامن الى الذين عادوا أولا الى الله .

*** الحقائق الوجيزة لهذه القصة مروية فى تاريخ السلطان الناصر محمد بن قلاوون وليس للكاتب دور ، غير الاطار التصويرى وأسلوب الرواية .**





لا ينكر قارىء أو ناقد ما لـ (العبقريات) الاسلامية ، التى دبجها يراع الأديب العربى المرحوم عباس محمود العقاد ، من مكانة رفيعة فى مكتبة الأدب الاسلامى ، ومنزلة فى قلوب الشباب الواعى المثقف . عالية محمودة .

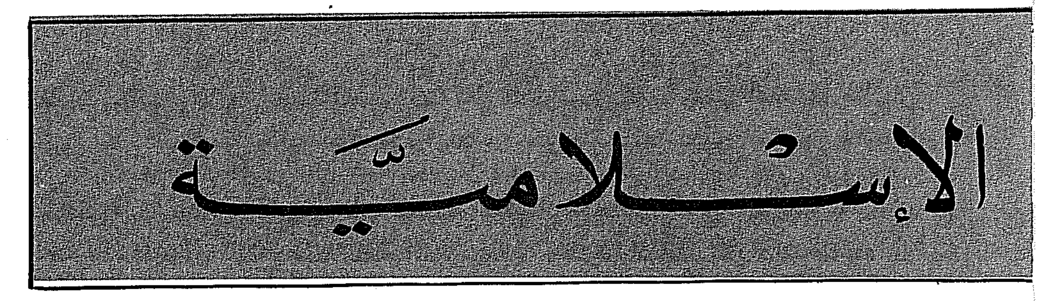
وفى (العبقريات) العقادية طاب لى أن نمضى . أنا وأخى القارىء العربى ، الى جولة روحية نتأمل فيها ما وراء شوامخ السمات ، وخوالد الذكريات الباقيات .. نستعيد بها الى المهج المشوقة عبيرا شذيا عاطرا ، تسبغ نسائمه الرقاق على الأفئدة سكينة وطمأنينة ما أحوج فؤاد الشباب المؤمن اليهما ، يبعثان فيه الاحساس بالراحة والسمو ، ويقويان له من خيوط التفاؤل بالمستقبل ، والآمال الوثيقة فى غد أفضل ..

((عبقرية محمد))

محاولة من العقاد باسلة ومشكورة أن يتصدى لرسم صورة جديدة فى حبات عقد السيرة النبوية .. فهو يكتب عن أشرف المرسلين وخاتم النبيين (محمد) كشخصية عبقرية فى تاريخ الانسانية كلها بعامة .. (فهو خلاصة الكفاية العربية ، فى خير ما تكون عليه الكفاية العربية) وهو . (على صلة بالدنيا التى أحاطت بقومه .. فلا هو يجهلها فيغفل عنها ، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق فى لجتها) وأنه أيضا . (أصلح رجل ، من أصلح بيت ، فى أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة على غير علم من الدنيا التى ترقبها .. ذلك محمد بن عبد الله عليه السلام) .

وفى (عبقرية محمد) تبرز بوضوح . خاصية القوة المعنوية ووزنها ذى الأهمية الفعالة فى ترجيح كفة الفوز والغلبة عند النزال .. ولقد وفق العقاد فى لقطاته الفنية من زوايا جديدة لعبقرية نبينا العظيم كرائد فى فنون السياسة والقيادة الحربية والاقناع الفكرى ، مع الكياسة واعطاء المثل الرائعة لماهية العظمة الشخصية فى الانسان . ذلك فضلا على اختصاصه بأرقى درجات

للاستاذ
محمد الحضري عبد الحميد



الإسلامية

النبوة . وفى كلماته عن ابراز فاعلية الروح المعنوية العالية بين صحب محمد وجنده واتباعه ، يقول العقاد مقارنا : (.. وكان نابليون يقول ان نسبة القوة المعنوية الى الكثرة العددية كنسبة ثلاثة الى واحد ، والنبى عليه السلام كان عظيم الاعتماد على هذه القوة المعنوية التى هى فى الحقيقة قوة الايمان . وربما بلغت نسبة هذه القوة الى الكثرة العددية كنسبة خمسة الى واحد فى بعض المعارك ، مع رجحان الفئة الكثيرة فى السلاح والركاب الى جانب رجحانهم فى عدد الجنود . ومعجزة الايمان هنا أعظم جدا من اكبر مزية بلغها نابليون بفضل ما أودع نفوس رجاله من صبر وعزيمة . فالنبى عليه السلام كان يحارب عربا بعرب ، وقرشيين بقرشيين ، وقبائل من السلالة العربية بقبائل من صميم تلك السلالة . فلا يقال هنا ان الفضل لقوم على قوم فى المزايا الجسدية او المزايا النفسية كما يمكن أن يقال هذا فى جيش نابليون ، وكل فضل هنا فهو فضل العقيدة والايمان) .

اجل . فبالايمان الحق ، المنزه عن كل هوى ، انتصر (محمد) القائد ومحمد الزعيم ، ومحمد النبى ، ومحمد الانسان .

وعن انسانية (محمد) صلوات الله وسلامه عليه . ما أكثر ما فى سيرته الوضيئة الزاكية من فارهات الدعائم لدستور خالد للانسانية جمعاء .. وبانسانيته ومنهاج رسالته النبيلة حرر الانسان العربى من مستوى مروع فى التخلف ، فرفعه الى مرتبة كريمة تليق به كانسان .. حرر المراة العربية التى كانت سبة ذليلة مهانة فى الجاهلية ، فاذا هى بعد الاسلام (عضو عامل) واذا هى انسانة كاملة الاعتبارات مكتملة الحقوق تتسلم مرفوعة الراس درجتها الرفيعة الجديدة ، التى لم ترق اليها قبل الاسلام ، وما كانت — قط — لترقى اليها فى ظلام الجاهلية . ومن ثم فان الاسلام جاء للمراة العربية وللمراة فى كل مكان بعهدها الذهبى ، الذى لم تشهد مثله فى أى عهد ولا فى أى عصر ، حتى ولا (عصر الفروسية) الذى تغنى به الاوروبيون ، زاعمين أنه كان عصر رفعة للمراة . وفى مقارنة اخرى . يقول العقاد معددا فضل الاسلام ونبى الاسلام ،

ومقارنا عصره بالعصر المزعوم انه كان ذهبيا بالنسبة الى المراة . وعن المراة فى تينك الحقبتين يقول : (وكانت — يقصد المراة — وصمة تدفن فى مهدها فرارا من عار وجودها ، أو عبئا تدفن فى مهدها فرارا من نفقة طعامها . . فأصبحت انسانا مرعى الحياة ينال العقاب من ينالها بمكروه . ولم تكن فى البلاد الاخرى بأسعد حظا منها فى البلاد العربية . فلا تذكر شرائع الرومان واستعبادها النساء ، ولا تذكر المتنطسين فى صدر المسيحية وتسجيلهم عليها النخاسة وتجريدهم اياها من الروح . وكفى أن نذكر عصر الفروسية الذى قيل فيه إنه عصر المراة الذهبى بين الأمم الاوروبية ، وان الفرسان كانوا يفدون النساء بالدم والمال . فهذا العصر كما قال الدارسون له . عصر الحصان قبل أن يكون عصر المراة او عصر (السيدة المفداة) ، وقد أجمله (جون لانجدون دافيز) صاحب (التاريخ الموجز للنساء) فقال : (ان عصر الفروسية كان معروفا بما لحظ فيه من فقدان الشبان على الجملة الاهتمام بالجنس الآخر . ولعلنا نقلل من الدهشة لذلك لو اننا وعينا كلمة الفروسية ، وذكرنا أنها لم تكن ذات شأن بالسيدات كما كانت ذات شأن بالخيل ، على خلاف ما يروق الكثيرين أن يذكروه) . ويأتينا العقاد بمثال . . : « . . ففى سنة ١٧٩٠ بيعت امرأة فى أسواق انجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تأويها . .

وبقيت المراة الى سنة ١٨٨٢ محرومة حقهَا الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة » .

وانسانية نبينا محمد) عليه الصلاة والسلام ذخر نفيس مضيء يمد البشرية فى كل أطوارها بطاقات هائلة الدفع ، من بواعث السمو والرفعة الى المستوى الأرفع الأرقى ، الذى به يسود الانسان السوى ويسود معه الخير والامن والسلام . كان صلى الله عليه وسلم ارق الناس حاشية ، وأكثرهم حنانا ، شفوقا بالصغير قبل الكبير ، حفيا بالضعيف قبل القوى . قالت عائشة رضى الله عنها : (كان الين الناس بساما ضحاكا) . وفى رقته المتناهية ، وبره ولطفه اللذين لا حدود لهما . تكفى مأثورة واحدة كمثال يستخلص منه عظمة (محمد) وتفرده بالانسانية الكاملة المثلى ، وباستحقاقه لوصف اللطيف الخبير له عندما قال — جل جلاله — فيه (وانك لعلى خلق عظيم) . . (دخل الحسن ابن فاطمة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، فركب ظهره وهو ساجد فى صلاته . . واطال النبى السجدة حتى يتيح للصبى أن ينزل عن ظهره على مهل ، وسأله بعض أصحابه . لقد أطلت سجودك ؟ . فقال : (ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله) .

« عبقرية الصديق »

للعقاد نهج حكيم فى تصنيف العبقريات ، ولعل هذا النهج الطيب هو الذى اضفى على عمله الادبى الكبير ذاك مسوغات البقاء . . فمذهبه فى توقير العظمة ليس هو التعصب ، ولا هو التبرير ، وانما : (مذهبنا فى توقير العظمة ، مع التفرقة بين التوقير المحمود والتجميل المصطنع الذى يعيب المصور ويضل

الناظر الى الصورة . فليس لنا أن نثبت جمالا غير ثابت . ولكن لنا — بل علينا — متى اثبتنا الجمال فى مكانه . . أن نرفع الصورة الى مقام التوقير) .

وابو بكر الصديق رضى الله عنه ذو صورة مشرقة رائعة البهاء فى تاريخ الاسلام وسجل الزمان . . فهو السباق الى الاسلام ، وهو ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، وهو اول امير للحج بعث به النبى وهو بالمدينة — وكان ذلك سنة تسع من الهجرة — امتاز بالخلق القويم ، خلق العربى الأصيل ، الذى اذا آمن وثق . بذل الروح مرتخصة فى سبيل الحفاظ على قدسية عقيدته . عرف بحدة فى طبعه كانت تبرز أحيانا ويعيبها البعض عليه ؛ ولا ينكرها ، قال يصف نفسه معترفا بهـذه الحدة ، فى خطبة من أوائل خطبه بعد مبايعته : (اعلموا أن لى شيطانا يعتريني . . فاذا رأيتمونى غضبت ، فاجتنبونى) ، سئل عنه ابن عباس فقال : (كان خيرا كله على حدة فيه) . ولـكن تلك الحدة خلة حميدة فى رأى العقاد الذى يومىء اليها بقوله انها تنم عن سرعة التأثر فيه ، وانهـا : (من خلائق هـذا المزاج . . التى يغـالبها من يحرصون على وقارهم ومروءتهم أن يستهدفا الحدة أو يندفعا فى عمل غير حميد الا أن يمس الرجل فيما هو من اخص الخصائص التى يقوم عليها مزاجه وتستقيم عليها عاداته وسماته ، فعندئذ تعسر المغـالبة وتبرز الحـدة من مكمنها ، وهى على حق اذن فى بروزها) .

والصديق اشتهر بالصدق فى الجاهلية والاسلام جميعا ، فكان (ضامن) قريش المتقبول الضمان : (لا يعد أحدا الا وفى وصدق الدائن والمدين . ووكلت اليه الديات والمغارم . . فلم يحمل شيئا منها الا اطمأن النـاس ، فان احتملها احد غيره خذلوه ولم يصدقوه) . كان متواضعا ودودا يكره الزهو والخيلاء ، يعنف ابنته — عائشة — اشد تعنيف اذا ما لاح عليهـا أقل ازدهاء ، مما تميل اليه عادة بعض النساء ، من توسـل الى بعض الزينة ، أو ادنى اهتمام بمتاع دنيوى من ملبس أو شىء من المزاح فى أوقات الصفاء . وكان عميق الايمان ، كثير التفكير ، طويل الهم والشجن الى حد البكاء المسـترسل الصـامت فى خلواته . قالت عائشـة عنه إنه (غزير الدمعة ، وقيذ الجوانح — اى محزون القلب — شجى النشـيج) ، وانه للتفهم الحق للدين القيم الحنيف ، والرغبة الصادقة فى التماس مغفرة الرحمن ورضـاه ، لا تفتأ توحى اليه فى الخلوة أن البون شاسع والشوط طويل ، فيبكى ليبكت النفس المؤمنة يسـتحثها الى قمة الكمال ، باعثا فيها كل هواجع الطاقات ، تواقا الى التصـعد الى ذرى الآمال الكبار . آمن بالنبى فصدقه بعدها فى كل ما قال : (انى اشهد انه رسـول الله ، فلم لا اتبعه فيما ارتضاه) ؟ . عرف بأنه « أول أمين سر » لا يفشى قط ما يسر اليه ، رضى أن يغضب منه صفية وصاحبه عمر بن الخطاب عندما عرض عليه ابنته حفصة فلم يجبه بشىء ، الى أن خطبها الرسـول ، عندئذ أوضح الصديق موقفه لعمر فقال : « لم يمنعنى أن ارجع اليك فيما عرضت على الا أننى كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم اكن لأفشى سر رسول الله ، ولو تركها رسول الله قبلتها) .

وهنا يعقب العقاد : (. . فهو فى هذا الكتمان قد جرى على خير سـنة يجرى عليها أمناء الاسرار . أشفق أن يذيع سر الرسول عليه الصلاة والسلام فيبدو له فى العزوف ، فتكون فى ذلك ملامة ، فآثر هو أن يلام على أن يعرض



صاحبه لملام) . ومع ذاك الصمت والكتمان ، وذاك الميل الى النزر اليسير في الـــكلام . . كانت للصديق طلاقة خبيرة بكياسة القـــول ، وفن اللفظ ، ورقة العبارة الذكية الصياغة) . . سأل رجلا يحمل ثوبا : « أتبيعه » ؟ أجاب : (لا عفاك الله) فقال هو : (هلا قلت . لا ، وعفاك الله) ؟ . وعندما نودى يوما فى حديث ما : (يا خليفة الله) انكر اللفظ ورد على الفور غاضبا : (انما أنا خليفة رسول الله) . ورجل له كل هاته الزكانة واللماحة وحب الآداب الرفيعة ؛ اذ كان يروى الشعر ويحفظ الأمثال ويراجع النبى فى الآيات ، حقيق بأن يصـــدر عنه ما صدر فى معرض النصح ليزيد بن أبى ســـــفيان : (اذا وعظت الناس فأوجز . . فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا) ، ولا عجب اذا كان هو — اذن — القائل لخالد بن الوليد (أقل من الـــكلام ، فانما لك ما وعى عنك) و : (ان البلاء موكل بالمنطق) .

فليس بعجيب أن يبلغ الصـــــديق الذى كان خلقاه الغالبان : (الكياسة والصدق) ، هذه المنزلة الرفيعة فى مشرق الاسلام ، وليس بمستغرب — اذن — ان يجيب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عندما يسأل : (يا رسول الله . . أى الناس أحب اليك) ؟ فيقول : (عائشة) . . قالوا : (انما نعنى من الرجال) . . قال « أبوها » .

« عبقرية عمر »

هو (الفاروق) ، الذى فرق بين الحق والباطل لا يختلطان ولو فصـــــلت بينهما شـــــعرة . . ولا غرابة فان (عمر بن الخطاب) كان قويا قوة ذهبت فى الخلود مثلا على نصرة الحق وتطبيق العدل ونشر الأمن واقرار السلم . . فهى قوة فى الخلق والايمان ، وهى قوة فى العزيمة وفى الاضطلاع بجسام المهام . . واشتهر بحدة الفراسة التى هى لا ريب بنت شفافية البصيرة ونقاء الدخيلة ، حتى انه : (كان يميز بين طعم لبن الناقة ، ولبن ناقة أخرى) . كان مهابا كل المهابة ، لدرجة أن النبى العظيم (محمد) كان يوليه احتراما خاصا ، اقرارا منه — صلوات الله عليه — بما لـــ (عمر) من حق فى أن تصـــــان له مهـــابته لا ينتقص منها . روت السيدة عائشة أنها طبخت حريرة ، ودعت سودة أن تأكل منها فأبت ، فعزمت عليها لتأكلن أو لتلطخن وجهها ، فلم تأكل . فوضعت يدها فى الحريرة ولطختها بها ، والنبى حاضر يضحك فى لطفه المأثور وتجـــــاوزه الكريم واقراره أن لكل وقت دواعيه . . لــكنه — حتى فى مزاح آل بيته — لا ينسى البتة — دواعى العدالة أيضا ، فيضع الحريرة فى يد سودة ويقول لها : (لطخى انت وجهها) ، أى . واحدة بواحدة ، لا تفضيل ولا غبن . . ففعلت ، وهنا مر (عمر) فنـــــاداه النبى . يا عبد الله . . ثم انثنى يقول لهما : (قوما فاغســـلا وجهيكما) . وتقول عائشة : « فما زلت أهاب عمر لهيبة رســـــول الله اياه » .

وعمر هو العادل الفريد فى عدله ، هو ابو العدل . . « ورث القضاء من قبيلته وآبائه ، فهو من أنبه بيوت بنى عدى الذين تولوا الســـفارة والتحكيم . وكان ابوه الخطاب ، وجده نفيل ، من اهل الشدة والبأس ، وكان عادلا لأن آله

من بنى عدى قد ذاقوا طعم الظلم من أقربائهم بنى عبد شمس ، وكانوا اشداء فى الحرب يسمونهم (لعقة الدم) فاستقر فيهم بغض القوى المظلوم للظلم وحبه للعدل » . وقوته فى الحق وشدة بأسه فى القصاص ترقى الى مرتبة سامية رائدة ، فهو لم يكن يستثنى — على الاطلاق — احدا من أحكام موازين عدله ، ولا حتى نفسه .

(مر عمر فى سوق المدينة فرأى اياسا بن سلمة معترضا فى طريق ضيق ، فخفقه بالدرة وقال له ، أمط عن الطريق يا ابن سلمة . ثم دار الحول ولقيه فى السوق فسأله . أردت الحج هذا العام ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فأخذ بيده حتى دخل البيت واعطاه ستمائة درهم وقال له . يا ابن سلمة ، استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التى خفقتك بها عام أول !

قال اياس : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها . فأجابه عمر . أنا والله ما نسيتها) .

وعمر ليس بالجاف القاسى فى شدته ، كما يتبادر الى أذهان البعض . فما أكثر ما كان ينزل على حكم الظرف ايثارا لعاطفة انسانية ، أو لاقتضاء واجب ، أو لتيسير . وانه هو الذى كان ينهى عن الندب والعويل ، ينزل عن هذا النهى فى موقف حقيق بالاستثناء . . فانه لما مات خالد بن الوليد واجتمعت بنات عمه يبكينه وسئل عمر أن ينهاهن ، لم يفعل ، ولكن قال : (دعهن يبكين على أبى سليمان ، ما لم يكن نقع أو لقلقة ، على مثله تبكى البواكى) .

وهب (عمر) للعدل وللحق كل امكاناته وطاقاته . لم يكن ليتهاون قط فى احقاق الحق ، ضاربا صفحا عن أى اعتبار آخر . فالوالى عنده ليس الا (مجرد شخص كبقية الأشخاص ، معرض للقصاص من أجل أدنى جور على أقل مواطن) . وليس ذلك فحسب ، بل انه : (قد يأخذ الوالى أحيانا بوزر ولده أو ذوى قرابته ، اذا وقع فى نفسه أنهم يستطيلون على الناس بسلطان الولاية ولا ينهاهم الوالى المسئول عنها) . وكان أبو قحافة — والد ابى بكر الصديق — يعيش حتى قبض ابنه العظيم ، فقال : (رزء جلل . رزء جلل ، ثم سأل : (من ولى الامر بعده) ؟ قالوا : (عمر) قال : (صاحبه) . أى — فى ايجاز بليغ كاف — صنوه ، ومثيله ، وقرينه فى عبقرية الكفاءة والجدارة .

« عبقرية الامام »

على بن أبى طالب ، أول هاشمى من أبوين هاشميين . اختارت له أمه اسم (حيدرة) باسم أبيها (أسد) — علم على عبقرية الرجال الخلص الرواد ذوى الذكر الوضىء الساطع فى جبين الانسانية والتاريخ جميعا . وفى الاسلام بخاصة ، فهو . فارس الاسلام . والعقاد يرى أن (مفتاح شخصيته) هو فى كلمتين : (آداب الفروسية) . كابد الانشقاق وعاصر القلاقل . ونجح فى أكثر المواقف فى رأب الصدع وجمع الشمل .

رمز العفة والنخوة ، شهما دائما فى السلم والحرب معا . كان يتورع عن البغى ، مع قوته البالغة وشجاعته النادرة ، كان يقول لابنه الحسن : (لا تدعون الى مبارزة . فان دعيت اليهـــا فأجب . فان الداعى اليها باغ ، والبــاغى مصروع) . ومن تمسكه بآداب الفروسية العربية انه : (علم ان جنود الخوارج يفارقون عســـكره ليحاربوه ، وقيل له . انهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك . فقال : لا اقاتلهم حتى يقاتلونى .. وسيفعلون) ..

ومن مروءته انه ابى على جنده وهم ناقمون أن يقتلوا مدبرا ، او يجهزوا على جريح ، او يكشفوا ســـترا ، أو يأخذوا مالا . بل لقد (صلى فى وقعة الجمل على القتلى من أصحابه ومن اعدائه على الســواء) . وحدث أن (حال جند معاوية بينه وبين الماء فى معركة صــفين وهم يقولون له : ولا قطرة حتى تموت عطشا .. فلما حمل عليهم وأجلاهم عنه . سوغ لهم ان يشربوا منه كما يشرب جنده) . ومن سمات خلقه العربى الكريم انه فى أعقاب احدى المعارك ، وكان عهده رضى الله عنه زاخرا بالفتن والاثارات والمناوشات اتفق له أن كان يزور السيدة عائشة .. فتصدت له امرأة هى (صــفية أم طلحة الطلحات) فصاحت فى وجهه وهو يدخل : ايتم الله منك أولادك ، كما أيتمت أولادى . فلم يرد عليها شيئا ، ثم خرج فأعادت عليه ما استقبلته به فسكت ولم يرد عليها . قال رجل أغضبه مقالها . يا أمير المؤمنين ، أتسكت عن هذه المرأة وهى تقول ما تسمع ؟ . فانتهره وهو يجيب . ويحك .. انا أمرنا أن نكف عن النســاء وهن مشركات .. أفلا نكف عنهن وهن مسلمات) ؟.

وبقدر رفعة منزلته فى مقام الفروســية العربية وآدابها ، وبخاصة فى أوقات الحرب .. كان أمام أهل العلم والقراءة ، فهو : (أحق من يتكلم بتفقيه أو تفسير) . وهنا تتجلى خواص عبقريته كعربى رائد فى فقه الدين والتراث العربى ، وكرائد عربى فى فنون السياسة وآداب النخوة العربية على صعيديه السلم والحرب معا . كذلك على قدر ما كان عمر بن الخطاب حجة فى القضاء والتشريع والنظرة المنبثقة من مقتضــيات العدالة وروحها .. فانه كان كلما استعظم مسألة من مسائل القضاء العويصة يقر فى سماحة الكبار الاصلاء ، ان : لا كفاء لها الا (أبا الحسن) — يعنى الامام — لأن الامام ، (كان يتجاوز التفسير الى التشريع كلما وجب الاجتهاد بالرأى الصائب والقياس الصحيح) . يؤثر عنه انه كان أفقه الناس فى علم الوراثة ومعضلات المواريث ، فقد (جاءت اليه امرأة وشكت اليه أن أخاها مات عن ستمائة دينار ولم يقسم لها من ميراثه غير دينار واحد ، فقال لهـــا : لعله ترك زوجة وابنتين وأما واثنى عشر أخا وأنت ؟ .. فكان كما قال) !

ذلكم هو على الامام الفارس القائد ، والفقيه والأديب .. الرائد العلم فى كل فن من هذه الفنون .

وبعد .. ؟

فما سر . العبقرية ؟ . بل ما سر هذه العبقريات الفرائد الخالدات ؟

ما سر تلك العظمة الشامخة فى البطولات ، ووفرة الحظ فى قوة الشحنات الروحية والمقومات السامية التى حفلت بها سير هذه الشخصيات ؟ . وهل تخضع العبقريات وذووها لشيء من مقاييس أو موازين ؟ .. أسئلة تطوف بالذهن وهو يقف مبهورا أمام صروح شواهق تخلب الالباب وتطل عليه من عليين تتقحم من فوق القمم السامقات ما بين يديه من ادوات الوزن أو القياس .. وفى هذا لسنا نرى ، التزاما بوقفة (التأملات) الروحية ، فى روضة العقاد العربية ، الا أن نستعرض حكما سليما ورأيا صائبا قال به مصنف (العبقريات) المتغنى — عن ايمان واقتناع — بصانعى كل هاتيك الامجاد

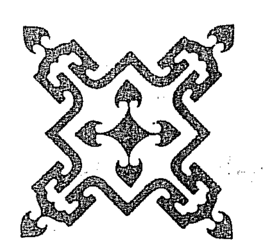
« البطولة ومقاييس الحكم عليها »

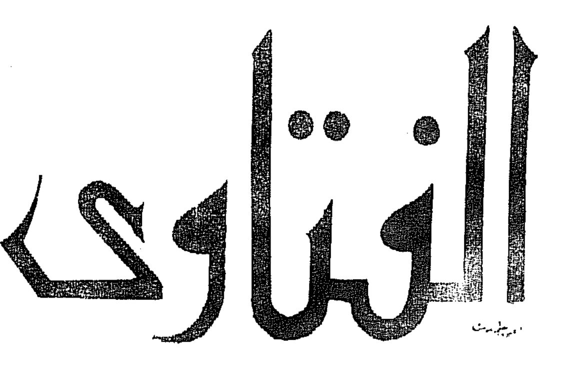
يرى العقاد — فى كتابه (عبقرية الصديق) أن الخطأ أن تحوج البطولة الى الدخول فى المعمل لتثبت لك قدرها ، وتثبت لك حقها فى الاعجاب ، وحقها فى العمل ، وحقها فى تحويل تاريخ الانسان ، ثم تثبت لك قدرتها عليه ..

ليس المعمل محل هذا . محل هذا نفس الانسان .

وساءت الدنيا ان كانت نفس الانسان لا تغنيه في تقويم النفوس ، ولاسيما أعظم النفوس .. أفلا يروعنى البطل الا من خلال الأنابيق والأنابيب ؟ .. أفلا تملكنى نخوة الاعجاب الا بوثيقة من ايساغوجى ؟ . أفيروقنى الطائر المنطلق فأعلم لم يروقنى ، ويتراءى لى الروح العظيم فأقول : مكانك حتى أرجع الى مائدة التشريح ، والى قارورة الكيمياء ؟ .. ويستطرد العقاد فى حديثه هذا حول عجز وقصور أية (أداة قياس ، أو وزن) عن ادراك كنه النفوس العظيمة ، قائلا عن أولئك المشرحين المحللين حاملى المناهج رافعى الانابيب والمساطر ، أولئك الذين يظهرون بعد أن تكون العظمة النفسية قد ظهرت قبلهم ، وسطعت ونشرت أنوارها قبل مجيئهم ، يقول عن أولئك الوزانين القياسين .

(ليظهروا (على مهلهم) . ولتأخذ العظمة الروحية حقها من الاعجاب قبل اذنهم .. فلا مناقضة للعلم ولا للمنطق فى ذلك . انما المناقضة أن تعلق دوافع النفوس وبواعث النظرة على شيء لا تتعلق به ولا تتوقف عليه ، وأن نخطىء الواقع ، ثم نخطىء الواقع الصالح ، ولا سند لنا أوثق من الواقع على كل حال ، ولا شفاعة عندنا اكرم من شفاعة الواقع الصالح فى كل مآل) .
ورحم الله العقاد وعوضنا عنه بالكثيرين من أمثاله ، النافعين لدينهم ووطنهم ، وللأجيال من بعدهم .





يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسـئلة القـراء وتجيب عنهـا ..

المطلقة قبل الدخول

السؤال :

رجل عقد على امراة ولم يدخل بها وبعد أسبوع طلقها . فهل لهـا عدة وتستحق مهرا ؟

(م. م. ف)

الاجابة :

المقرر شرعا أن الرجل اذا تزوج بامرأة ثم طلقها قبل الدخول بها تطلق منه طلقة بائنة بينونة صغرى ولا عدة لها ، لأن العـدة شرعت لتعرف براءة الرحم .

أما بالنسبة للمهر فان الطلاق قبل الدخول يجعل لهـا الحق فى نصف المهر فقط . قال تعالى : « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » .

فالمرأة المطلقة قبل الدخول لا عدة لها ولها نصف ما سمى من مهر عاجله وآجله .

ولاية المرتد

السؤال :

شخص ارتد عن الاسلام وتريد ابنته الزواج .
فهل له الولاية عليها ــ وما حكم زوجته ، هل تطلق منه ؟

(ع. ك)

الاجابة :

اولا : بالنسبة لولاية المرتد على ابنته التى تريد الزواج ــ فالولاية شرعا سلطة تجعل لصاحبها حق التصرف فى شئون غيره ــ ويشترط فى ولى الزواج أن يكون قريبا وارثا للمولى عليه اذا مات ، وان تكون أهليته كاملة ، وأن يكون مسلما فى حالة ما اذا كان المولى عليه مسلما لأن الولاية تبنى على الارث ولا ميراث مع اختلاف الدين . والمرتد عن الاسلام لا يرث من بنته فهو محروم من الارث ــ ومن ثم فلا تكون له ولاية على ابنته المسلمة .

ثانيا : بالنسبة لزوجته فانه يجب التفريق بينهما ـ لأن الرجال قوامون على النساء ولا يجوز شرعا ان يكون لغير المسلم قوامة على المسلم .

فى الزكاة

السؤال :

يوجد لدى أموال لأولاد خالي امانة طرفي ـ ولا اعرف عنوان اقامتهم الآن فهل يحق لى أن أخرج زكاة هذه الاموال ؟
(علوى محمد عبد الله ـ من الجنوب)

الاجابة :

الزكاة ركن من أركان الاسلام وتجب فى المال اذا بلغ نصابا وحال عليه الحول ، ويشترط لاخراج الزكاة الملك التام لمخرجها بحيث يكون صاحب التصرف فيها ، وبحيث لا يتعلق بهذه الاموال حق للغير .
وبما أن السائل وان كانت الاموال تحت يده ، الا انه لا يملكها بل هى ملك أولاد خاله أمانة طرفه ، ومن ثم فلا يجوز له شرعا أن يخرج الزكاة بل يجب عليه المحافظة عليها حتى يحضر اولاد خاله أو يعرف مكان وجودهم فيسلم الاموال اليهم أو يرسلها لهم ، ولا يصح له بأى حال من الاحوال التصرف فيها .
فلا يحق للسائل أن يخرج زكاة الاموال المودعة عنده بصفة أمانة وانما المطالب باخراج الزكاة هم أصحابها وذلك اذا استوفت شروط الوجوب .

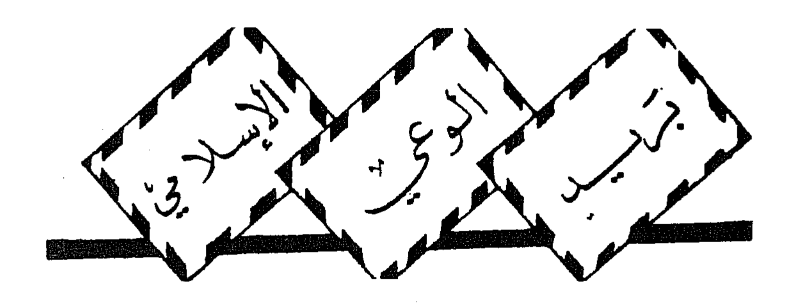
فى الميراث

السؤال :

توفيت امراة عن ولديها فقط ثم توفى احد الولدين بعدها عن اخيه لامه واخوته لأبيه وهم ولدان وبنت .
فما نصيب كل وارث ؟
هاشم على ـ بالكويت

الاجابة :

بوفاة امراة عن ولديها فقط تقسم تركتها بينهما مناصفة اذا كانا من الذكور ، أما اذا كانا ذكرا وانثى فتقسم للذكر ضعف الانثى ـ وبوفاة أحد ولديها عن أخيه لأمه واخوته لأبيه يكون لاخيه لامه السدس فرضا والباقى للاخوة لأب للذكر ضعف الانثى .



باشراف : الشيخ رضوان البيلى

رسالة من استراليا :

اننا شباب مسلمون نعيش فى بلد غير اسلامية .. فى استراليا .. وقد اطلعت على قرآن مترجم الى اللغة الالمانية على يد شيخ باكستانى ، فهل يجوز ترجمة القرآن الكريم الى لغة غير اللغة العربية .

وأمر آخر نريد أن نستبين وجه الحقيقة فيه ، وهو اننا نعرف أن المسلم يجوز له أن يتزوج مسيحية أو يهودية او امراة من اى ديانة اخرى . فهل تحرم هذه الآية الكريمة : « **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم** » ، هذا النوع من الزواج أم لا وما المراد بالمشركة فى الآية .

كما نرجو أن ترشدونا الى تفسير للقرآن الكريم سهل المعانى ، وكيف يمكن الحصول عليه كى يصلنا فى استراليا .

عن الشباب المسلم : **خليل عرفات، رابى**
سدنى — استراليا

ترجمة القرآن :

ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية ليفهمه من لا يعرف العربية ، ومن لا يحسنها جائزة شرعا وذلك بأن تكتب الآية أو الآيات باللغة العربية مستقلة متفصلة عن الترجمة ، ثم يذكر بعد ذلك ترجمة لمعانى الآية أو الآيات .

وترجمة معانى القرآن على هذا النحو واجبة على المسلمين فى كل عصر ، وهى فى هذا العصر أشد وجوبا لأن فيها قياما بواجب التبليغ الذى أوجبه الله على المسلمين ، وكشفا لجمال القرآن ومقاصده لمن لا يعرف العربية ، ودحضا للمفتريات وتفنيد الشبهات التى الصقها أعداء الاسلام بكتاب الله .

اما ترجمة القرآن ترجمة حرفية بمعنى أن يعمد المترجم الى الكلمة فى الآية فيضع مكانها لفظا مرادفا لها فى اللغة الاجنبية مع المحافظة على أن تكون الترجمة مساوية ومشابهة للأصل العربى فى النظم والترتيب .. هذه الترجمة غير ممكنة وغير جائزة شرعا .

اما انها غير ممكنة فلأن الترجمة الحرفية بهذا المعنى تستلزم وجود مفردات فى لغة الترجمة مساوية تمام المساواة لمفردات القرآن فى العربية ، وتستلزم تشابه اللغتين فى وجوه البلاغة وأساليب البيان ، ولا يمكن أن تتحقق هذه المساواة تماما ولا أن يوجد هذا التشابه بدقة بين لغتين من اللغات .

وهذه الترجمة غير جائزة شرعا لأنها غير ممكنة وما دامت غير ممكنة فمحاولتها ضرب من العبث فضلا عن أن محاولة ايجاد ترجمة حرفية للقرآن ادعاء بوجود مثل للقرآن وهذا تكذيب صريح للآية الكريمة **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** ، ولأن وجود ترجمة بهذا المعنى يعرض الاصل العربى للضياع كما ضاع الاصل العبرى للتوراة والانجيل ، ولو لم تحظر هذه الترجمة الحرفية لوجدت ترجمات كثيرة ، وهذه الترجمات ستكون بلا شك مختلفة اختلافا كثيرا وهذا الاختلاف يؤدى الى تنازع المسلمين واختلافهم كما حدث فى اختلاف اليهود والنصارى على اناجيلهم وتوراتهم .

لهذا كله ولأسباب كثيرة لا يتسع هذا الباب لذكرها كانت ترجمة القرآن ترجمة حرفية حراما شرعا ، أما ترجمة معانيه ، أو تفسيره باللغات الاجنبية فأمر واجب على المسلمين . وعلى السيد صاحب الرسالة أن يحكم على ترجمة الشيخ الباكستانى للقرآن الكريم بأحد هذين الحكمين .

تزوج غير المسلمة :

للمسلم ان يتزوج من المراة المسيحية أو اليهودية مع بقائها على دينها لأن الاسلام عامل أهل الكتاب معاملة خاصة اذ انهم أصحاب دين سماوى وان حرفوا وبدلوا . قال تعالى : **(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان)** .

ولا يجوز للمسلم ان يتزوج المشركة وهى التى تعبد الاوثان ومثلها الملحدة التى لا تؤمن بدين . قال تعالى : **(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)** .

وبقى أن نذكر بأن المسلمة خير من الكتابية والمشركة ومن أصدق من الله قيلا **((ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم))** .

وأما التفسير البسيط المناسب فانى انصحك بالحصول على نسخة من منتخب التفسير الذى وضعته حديثا لجنة من العلماء المعاصرين ويمكن طلبه دون مقابل من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ميدان التحرير شارع الامير تداذار رقم ٣ .

بأقلام القراء

يعبرون فيـه عن افكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

المسلم المعاصر :

تلقينا من السيد هادى السيد هجر من الناصرية بالعراق كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

ينظر المسلم بفكره المدرك الى الصراع الدائر على مسرح الحياة بين الحق والباطل والشر والخير ينظر الى هذه المفارقات التى لا تبارح واقعه لحظة واحدة ، فتختلجه بين الفينة والاخرى خلجات نفسية ومشاعر ايمانية نابضة بالحيوية يود أن ينفس عنها ويطلق عنانها لازاحة هذا الكابوس الخانق المعتم المتلبد بسحب الشر والرذيلة .

وسؤالى هل تبقى هذه الافكار الاسلامية والمشاعر الخيرة المغمورة بالايمان رهينة صدره وسجينة وجدانه ؟ أو لا بد أن يسلك الطرق الشرعية فى نشر تلكم الافكار وشيوعها بين هذه الاوساط المتضاربة ؟

والجواب على سؤالى هذا يأتى من واقع حاله وشعوره العقائدى وايمانه العميق بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أن يعد ما استطاع من قوة فى تفنيد اقوال مزعومة وآراء باطلة وتسفيه أحلام خيالية ضالة ، وأن يقف الموقف الحازم المتصلب لا يثنى عضوا أو يلوى جيدا قبال هذه الاعاصير الهوج (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) فالاستبسال والثبات الجرىء فى هذه المعركة العقائدية المصيرية تجاه حملة الافكار الدخيلة على واقعنا الاسلامى هى بحق ولعمرى ذروة الانتصار وقمة الشرف والافتخار.

ونصيحتى لأخى المسلم المجاهد المزيد من التمسك بالعقيدة الاسلامية الوضاءة ذات الخلق الرفيع والهدف السامى النبيل ، والى الجهاد والفداء من أجل ذيوعها واعلاء كلمتها ، ولا بد أن يتنفس الصبح الجميل وتشرق شمس الفضيلة مهما جيش أعداء الاسلام من زيف وضلال .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

□□□

التفرقة العنصرية :

ومن مقال للأستاذ محمد كامل احمد بهذا العنوان نقتطف ما يأتى :

يزعم اليهود أنهم شعب الله المختار وانهم لم يختلطوا بغيرهم من الاجناس وانهم يمثلون جنسا واحدا يتضح فى أشكالهم وسمتهم ولكن الحقائق تثبت زيف هذا الادعاء ، فاليهود اليوم سرى عليهم ما سرى على غيرهم من امتزاجهم بالغير ، وفيهم الطوال والقصار والنحاف والسمان والسمر والشقر ، ويقول رينان : ليس هناك شكل يهودى معين بل هناك أشكال وسحن يهودية متعددة ، والصهيونية تضم جماعة سياسية متعصبة تضم أناسا مختلفى الاشكال والالوان من الفلاشا فى الحبشة والالمان وهم أقرب الى السحن الجرمانية والتاميل وهم يهود الهند السمر والخازار وهم اليهود الذين يسكنون البلاد الطورانية ومن

اصول تركية ثم اليهود الذين كانوا يسكنون اليمن وهم نحاف قصار ويهود شمال افريقيا والشرق الاوسط وهم أقرب الى السحن الشرقية والسامية وتتبـاين سحن اليهود حتى فى البلد الواحد ، فنرى فى المانيا مثلا انهم في بادن يتمثلون برؤوسهم العريضة وفى كولونيا وفرانكفورت بوجوههم المفرطحة أو المستطيلة ويرجع تباين اليهود فى السحن والاشكال الى الاختلاط والاندماج طوعا أو كرها مما يسقط حجتهم فى نقاوة عنصرهم ، ومع ذلك فقـد استمسكوا بالتفرقة العنصرية كفكرة تلح عليهم (كتاب التفرقة العنصرية . احمد سويلم العمرى . صفحات ٣٤ — ٣٦) .

والصهيونية حركة عنصرية لا انسانية ولا ننس أنها كانت مستعدة لتوجيه ضرباتها وتنفيـذ مخططاتها ضد أى شعب ومن أى دين ، فقد ناقش زعمـاء الصهيونية اقامة مستعمراتهم فى عدة بقاع من صقلية الى الارجنتين الى أوغندا وحتى فى داخل اسرائيل نسمع عن اضطهاد اليهود الشرقيين وهذه العنصرية هى سر تعاطفهم على الحكم العنصرى فى روديسيا وجنوب افريقيا .

الشباب المسلم

وهذه الفقرات من رسالة بعث بها السيد خالد درويش :

الشباب المسلم يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء ، اذا تكلم كان رقيقا ، واذا جد فى الطلب كان شديدا خفيا . وكان فى حالتى الحرب والصلح عفيفا نزيها . آماله قليلة . مقاصده جليلة غنى القلب فى الفقر ، فقير الجسم فى الغنى ، غيور فى العسر رءوف رحيم عنـد اليسر . يظمأ ان ابدى له الماء منة ويموت جوعا ان رأى الرزق ذلة . ان كان بين الأهل كان حريرا فى النعـومة . وان كان بين الأعـــداء كان حديدا فى الصلابة ، كان طلا وندى تتفتح به الأزهار ، كان طوفانا يصطرع به الامواج وترتعد به البحار . اذا عارض فى سيره صخورا وجبالا كان شلالا . وان مر فى طريقه بحدائق كان ماء سلسالا يبارى الملائكة فى الطاعة ويتحدى الـكفر والباطل اينما كانا .

الشباب المسلم هو كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . أما من عداه فشـــجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يربى فى نفسه الروح ليطهر هذا العـــالم الفاسد بحـرارة ايمانه وتوجيهات ربه . ان اذانه لا يزال الصيحة الخالدة التى تدوى فى هدوء الليل وسكون الموت . انه يعيد الى هذا العالم الناعس المتعب حياته ونشـــاطه . ويؤذن بطلوع الصبح الصـــادق . وانصرام الليل . نعم .. هذا شباب محمد أمة الخلود أى أمة تضاهيها ، جباهنا تخضع لله وتعلو عمن سواه .. وأيدينا يد مع الله وأخرى مع الناس . أجسامنا فى الأرض وارواحنا فى الســـماء . لأطفالنا مروءة الرجال . ولرجالنا كرامة الأبطال . ولأبطالنا صفات الخالدين . نقوى فلا نتجبر ونضـــعف فلا نذل . ونصاب فلا نيأس ونستشهد فلا نبكى ولا نصرخ . تعصف بنا النكبات فنستقبلها صبرا وابتساما . ويراد لنا الذل فنثيرها حربا ضراما . دماء الشـهداء عندنا عطر الشباب والرماح وسهام الأعداء فى صدورنا أوسمة الكمال أو العزاء . وخوض المنايا فى سبيل كرامتنا أغنية النساء والأطفال وللمعارك الحمر يربيننا أمهاتنا فى الاسرة والمهود .

مستقبلك بيدك

طالعتنا مجلة الدراسات الاسلامية التى تصدر فى بيروت تحت هذا العنوان تقول :

لا تخف لست فى معركة الحياة وحيدا ، ابتهل اليه ، يسدد خطاك ، ينر بصيرتك ، يبدد ظلماتك ، اذ هو وحده سندك وعونك ونصيرك .

استعن به اذ هو القوة المهيمنة على هذا الكون ، وليسمها الناس ما شاءوا ، تتلاشى مخاوفك ، يزل قلقك ، تتعذر هزيمتك .

ضع حملك الثقيل فى بابه العالى ، حيث الفرج لأزماتك الخانقة ، والحلول لمشاكلك المستعصية ، والهدوء لأعصابك المتوترة .

ان معرفة الله ، باب يفضى لحياة رحبة سعيدة راضية ، لا تعرف قلقا وأمراضا نفسية ، قد تنقلب جسدية أو عقلية .

أنت عزيز ، وعزتك مستمدة من عزة الله ورسوله ، ولذا لا تخشى الكوارث بل ادفع القدر بقدر ، واصبر على ما لم تستطع دفعه لانك مع الله بالوقوف عند حدوده ، وهو معك بعنايته وتوفيقه .

ان ايمانك ، بحر قد تطفو على وجهه الكوارث ، لكن لا تبلغ أعماقه الهادئة وان الخوف من الله ، عز واطمئنان وبعد عن مواطن الريبة ، اما الذين جانبوا هذا الخوف فقد طاش سهمهم وخارت عزائمهم وخافوا كل شىء واحسوا بفراغ ، اذ الايمان لقاح بخلق حصانة . يدفع سموم الأفاعى الناطقة والشياطين المجسدة .

عش فى باب العزيز الكريم ، كن على صلة به ، تعرف عليه (فى الرخاء يعرفك فى الشدة) ولا تكن كفرعون ، آمن ولكن حين ادركه الغرق .

امح المعنويات بالتوبة النصوح اذ (كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) .

لماذا نريد الاسلام ؟

ونشرت مجلة التربية الاسلامية البغدادية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

نريد الاسلام .. لأن الاصلاح المنشود ليس اصلاحا ماديا فقط وانما هو اصلاح مادى وروحى معا ، وان أزمتنا الحالية ليست أزمة فى النظم السياسية والاقتصادية بقدر ما هى أزمة ايمان وأخلاق ، وان الفساد الذى نشكو منه فى اوضاعنا ومرافق حياتنا ما هو الا انعكاس لفساد النفوس ، فالنفوس اذن هى الميدان الأول الذى يجب أن يبدأ فيه الاصلاح (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) وان كل محاولة لاصلاح الأوضاع دون الالتفات الى اصلاح النفوس لا تقل عبثا عن الحراثة فى البحر !! ..

واننا نعتقد بان الاسلام هو وحده القادر على القيام بالأمر ، والأمر الذى نحتاجه الآن هو ثورة أخلاقية فى أعماق النفوس وحنايا الضمائر .

— نريد الاسلام .. لأن فيه اصولا وخطوطا عريضة لأسمى وأعدل وأكمل نظام فى جوانب الحياة جميعا من سياسة واقتصاد

واجتماع .

— نريد الاسلام . لانه يجمع ولا يفرق ، فالاسلام وحده الكفيل بجمع شمل المسلمين على اختلاف الاجناس والالوان واللغـــات والقبائل والشعوب .. هذه كلها تنصهر فى بوتقة الاسلام لتخرج منها أمة عظيمة واحدة متعاونة فى الضراء والسراء .

— نريد الاسلام .. لاننا نفتقد فى هــذا الوقت بالذات — أكثر من أى وقت مضى — روح الجهاد ومعانى القوة والصلابة ، ومن اين ناتى بهذه كلها اذا أدرنـــا ظهورنـــا للاسلام ؟ .

— نريد الاسلام .. لاننا نشعر بالغربة فى المجتمع الـدولى ، وليس لنـا الا أخـوة الاسلام والايمان تشدنا بستمائة مليون او أكثر من المسلمين .

والواقع اننا نريد الاسلام لسبب أكبر من هذه الأسباب مجتمعة لأنه أصل وهذه كلهـا واخرى غيرها فروع له !!..

اننا نريد الاسلام لأنه من عند الله العلى الكبير فالاسلام هو المنهج أو الطريق او الدين الذى ارتضاه الله — جلت حكمته — لنـا (ورضيت لكم الاسلام دينا) أليس من سفه العقل — ومن قلة الحياء ايضا — الا نرضى بما رضى الله لنا ؟!..

نحن فى حاجة الى تضحية !!

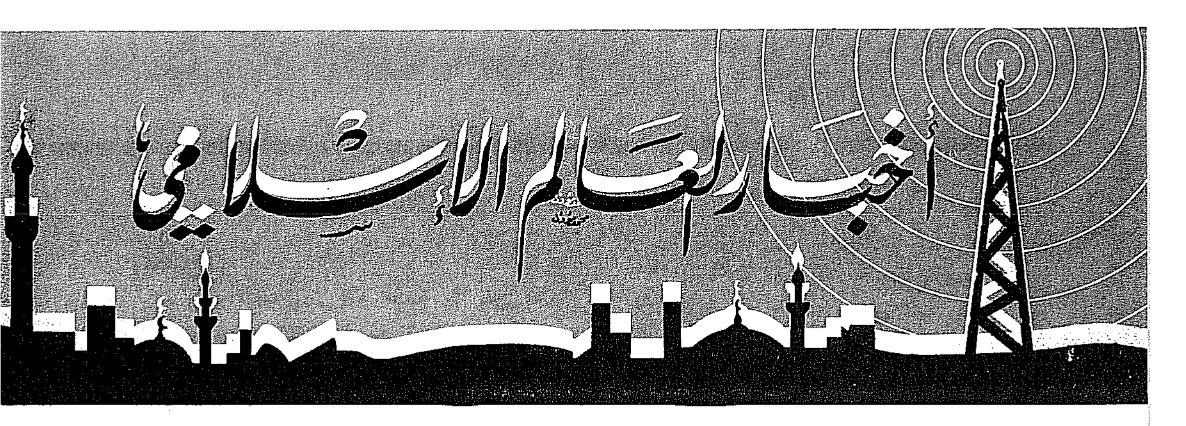
ومن مقال بهذا العنوان نشرتــه مجلة (رابطة العالم الاسلامى) المكية نقتطف ما يأتى :

ان من شعائر الاسلام الجهاد وهو ذروة فى مدارج التضحية — اذ يضحى المسلم فيه — بأثمن شىء — يضحى بنفسه التـى بين جنبيه — ابتغاء رضوان الله ولنصر دين الله ودحر — خصوم الاسلام — وما برحت اعلام الجهاد متطلعة الى السواعد القوية من شباب الاسلام — لترفعها خفاقة الى قيام الساعة وحتى يقاتل آخر هذه الأمة الدجال —

ولن يستقيم الدين أو تكون للمســلمين الصولــة والدولة والمكانــة المرموقــة تحت الشمس — الا ببذل اقصى التضحيات وانتهاج ارفع مخطط للخروج عن التبعية والاعتداد بالشخصية الاسلامية — دون أن تنماع أو تذوب فى شخصية الغير .

اجل نحن فى حاجة الى تضحيــة — فى حاجة الى أن نسير على درب الأولى ساروا على نهج الهدى وحققوا للاسلام اهـدافا عظمى كان من ابرزها امتداد رواقه والتبشير به — حتى بلغ الصين شرقا واوربا غربــا ودوخوا أعظم دولتين كانتا تقتسمان العالــم وتفرضان عليه سلطانهما — وتستبدان السيد المتاله .

ترى كيف وقعت هذه المعجزة — كيف تقلص ظل الامبراطوريتين العظيمتين أمام الزحف الاسلامى فى حين أن المسلمين فى كفاحهم — لم يكونوا اكثر عددا ولا أوفر عدة وعتادا من خصومهم بل كانوا على العكس — ولكنهم كانوا يملكون ما هو اعظم من كثـرة العدد ووفـرة العدة — كانوا يملكون العقيدة التى تدفــع بقوتها الى التضحية — الى مصاولة الموت — والاستبسال لورود حياضه — فلا يقف امــام دفعها اية قوة فى الأرض .



اعداد : عبد الستار محمد فيض

الكويت :

◎ بعث سمو الامير المعظم برقية مواساة الى جلالة شاه ايران بمناسبة كارثة الزلازل التى ضربت المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد .

◎ أناب سمو ولى العهد ونائب الامير المعظم وزير التربية فى حضـــــور الاحتفال بانقاذ آثار النوبة .

◎ صرح معالى وزير الداخلية والدفاع ورئيس مجلس الوزراء بالنيابة بأن الكويت تؤيد كل لقاء عربى يهدف الى توحيد الصف من أجل مستقبل الامة العربية واسترداد الاراضى المحتلة .

◎ تلقت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية سيلا من رسائل الاستنكار للتحريف الذى ورد فى المصحف الذى طبعته اسرائيل ، ومما يذكر ان المسلمين فى اندونيسيا قاموا بحرق ٢٥ الف نسخة من هذا المصحف المحرف .

كما تلقت الوزارة رسالة من عدد كبير من المسلمين فى باكستان يبدون فيها استعدادهم للجهاد فى سبيل الله وتحرير الاراضى المقدسة .

◎ زار البلاد وفود اسلامية من ماليزيا ونيجريا ضمن جولة تقوم بها فى مختلف الدول العربية والاسلامية لدعم الوحدة الاسلامية .

القاهرة :

◎ بعث السيد رئيس الجمهورية برسالة الى المؤتمر السنوى السابع عشر للطلبة العرب فى الولايات المتحدة اكد فيهـا ان الحل السياسى للقضية العربيـة ليس هو المنقذ الوحيـد من العدوان الاسرائيلى .

◎ تضمن البيان الذى صدر عن مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى انعقد فى القاهرة ضمن نطاق الدورة الخمسين لمجلس جامعة الدول العربية : ضرورة تعزيز الجبهة الاردنية وتقويتها ودعم المقاومة الفلسطينية وبذل المزيد من الجهود لانقاذ المدينة المقدسة ، واكد البيان أن التعــــاون العربى هو الضمان الاكبر لانتصار الامة العربية .

◎ اكدت وكالات الانباء ان الموقف بين العرب واسرائيل يوشك على الانفجار وان العدوان الاسرائيلى متوقع فى اية لحظة .

◎ اجتمع رئيس الوفد الاسلامى السنغالى بالمسئولين للتشاور فى انشاء معهد اســلامى بداكار .

الرياض :

◎ بحث المسئولون العسكريون مع وزير الدفاع الباكستانى وسائل التعاون العسكرى بين الدولتين .

◎ أوفدت رابطة العالم الاسلامى عدة وفود للقيام برحلات اسلامية واسعة النطاق فى الدول العربية والاسلامية .

◎ تم الاتفاق بين جامعـــة الرياض وجامعـــة السودان على تبادل الاساتذة والبعثـات الطلابية .

بغـــداد :

◎ اكد اللواء رئيس الجمهورية والمشير رئيس جمهورية باكستان للملك حسين ان العراق وباكستان سيكونان عضدا قويا للاردن .

عمـــان :

◎ اجتمع جلالة العاهل الاردنى بزعماء المنظمات الفدائية وقال لهم : ان العمل الفدائى يجب الا ينسب الى اى جهة معينة ، وطلب منهم تصعيد العمل الفدائى بشكل اوسع .
◎ قامت المنظمات الفدائية خلال الايام الماضية بعدة هجمات على المستعمرات الاسرائيلية اسفرت عن خسائر مادية وبشرية فى قوات العدو .

بيروت :

◎ ادلى الدكتور عبد الله اليافى رئيس مجلس الوزراء بتصريح قال فيه ان مهمة يارنج لم تتحقق وان القوات العربية لو توحدت قادرة على دحر العدوان .

الخرطوم :

◎ صدر عن جامعة ام درمان الاسلامية توصيات ومقررات الندوة العلمية لاسبوع القرآن الكريم بمناسبة مرور ١٤ قرنا على نزوله ، وقد ضمت الندوة عددا من رجال الفكر فى العالم .

● ● ●

◎ شكلت لجنة عربية اقتصادية من المختصين فى السفارات العربية والاسلامية فى باكستان لتعقب النشاط الاقتصادى الاسرائيلى .

◎ ضربت الزلازل العنيفة المنطقة الشـــمالية الشرقية من ايران مما ادى الى وفاة اكثر من ٢٠ الفا وتشريد ما يزيد عن المائة الف من السكان .

◎ اقترح المجلس المركزى للمنظمات الاسلامية عقد اجتماع يشترك فيه مجمع البحوث فى القاهرة ورابطة العالم الاسلامى بمكة والمؤتمر العالمى الاسلامى بكراتشى ، وممثلين عن المنظمات الاسلامية فى العالم لمناقشة القضايا الاسلامية .

◎ وجه المدير العام للاتحاد الاسلامى الكورى نداء الى المسلمين يدعوهم فيه الى المساهمة فى انشاء مسجد فى كوريا ، قدرت تكاليفه بسبعين الف جنيه استرلينى .

◎ تالفت لجنة من كبار المهندسين لوضع التصميمات الهندسية للجامع المركزى بلندن .

البلاذري " بقية "

ولا تدعوني للشهادة ، انني
نؤوب اذا آبوا ، ونغزو اذا غزوا
اذا التاجر الدارى جاء بفأرة

اغيب ، ولكنى أرى عجب الدهر
فأنى لهم وفر ، ولسنا أولى وفر ؟
من المسك راحت فى مفارقهم تجرى(١) !

والحجاج الذى ذكره أبو المختار هو الحجاج بن عتيك الثقفى وكان واليا على الفرات ، وجزء بن معاوية كان واليا على سرق ، وبشر بن المحتفز وكان على جند يسابور ، والنافعان هما أبو بكرة نفيع بن الحارث ، ونافع بن الحارث بن كلدة اخوه ، وابن غلاب ، هو خالد بن الحارث من بنى دهمان ، كان على بيت المال بأصبهان ، وعاصم بن قيس بن الصلت السلمى كان على مناذر ، وأراد بالذى فى السوق سمرة بن جندب كان على سوق الأهواز ، والنعمان بن عدى بن نضلة كان على كور دجلة ، وأراد بصهر بنى غزوان مجاشع بن مسعود السلمى . كان على أرض البصرة وصدقاتها ، وشبل بن معبد البجلى كان على قبض المغانم ، وابن محرش أبو مريم الحنفى كان على رام هرمز .

ويروى أن هذا الشعر بلغ عمر وبحث الأمر فوجد للشاعر عذرا فقاسم هؤلاء الذين ذكرهم أبو المختار ، فأخذ شطر اموالهم ، حتى أخذ نعلا وترك نعلا ، وكان فيهم أبو بكرة فقال لعمر : انى لم آل لك شيئا . فأجابه عمر : أخوك على بيت المال وعشور الابلة ، وهو يعطيك المال تتجر به ، وأخذ منه عشرة آلاف . ويقال قاسمه شطر ماله !

ومن الواضح أن هذا لون من الوعى الشعبى ومن المراقبة المالية للولاة ، ومن حزم عمر فى محاربة الطغيان المادى والاستغلال الاقتصادى للمناصب والمراكز !

* * *

وفى كتاب « فتوح البلدان » نصوص كثيرة عن الاصلاحات المالية التى أجراها عمر بن الخطاب فى الدولة ، وعن عدالته المثالية وزهادته فى لذة الدنيا ، وايثاره الحق والواجب على العاطفة والهوى ، ومن أمثلة ذلك انه عين لأسامة بن زيد عطاء قدره أربعة آلاف درهم ، وعين لابنه هو عبد الله بن عمر ثلاثة آلاف فقط ، فقال عبد الله لأبيه : يا أمير المؤمنين ، فرضت لى ثلاثة آلاف وفرضت لأسامة أربعة آلاف ، وقد شهدت ما لم يشهد أسامة ، فأجابه عمر : زدته لأنه كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وكان أبوه أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك !

رضوان الله على عمر ، ورحمة الله على البلاذرى صاحب « فتوح البلدان » ●●

(١) الفارة : آنية المسك ، والمفارق : وسط الرأس الذى يفرق فيه الشعر .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ـ صب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ صب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ صب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ـ صب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

قبة الصخرة المشرفة ، تدوى صيحاتها فى أعماق المسلمين .. واسلاماه !!

(تصوير : محمد باقر)



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت